آثار الشيخ الأيغومانس فيلوثاوس

١

232.9:F48aA V.1

فيلوثاوس ، الايغومانس .

232.9
F48aA
V.1

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

232-9
F48aA
v.1
c.1

آثار المتنيح الايغومانس فيلوثاؤس

رئيس الكنيسة الكبرى المرقسية سابقاً

مجموع ما قاله ودوّنه من الخطب والمراثي والعظات والكتب والرسائل

الجزء الاول

يتضمن ثماني خطب في ١٤٠ صفحة

عني بجمعها وشرح بعض الفاظها الفقير الى رحمة مولاه :

جرجس فيلوثاؤس عوض

الذي يحفظ لنفسه حق اعادة الطبع

39086

المطبعة المصرية الأهلية بالقاهرة سنة ١٦٣٠ ش — ١٩١٣ م

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

بسم الله الرؤف

الحمد لله وحده على ما الهمنا من السداد . وبعد فيقول الفقير الى رحمة مولاه جرجس فيلوثاؤس عوض الطنطاوي مولداً ومنشأ : ان المتنيح الايغومانس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى المرقسية سابقاً — الذى لم يزل يذكره الكثير من بني القبط وغيرهم — قد دوّن كثيراً من الرسائل والكتب بعضها قد طبع ونفدت طبعته وبعضها لم يزل مخطوطاً للآن، عدا خطبه وعظاته والمراثي التي كان يلقيها ووجد بعضها بين أيدي الناس بخطه . فجمعت كل ذلك وشرعت في طبع العظات والخطب والمراثي ، ووجدت انها مع بعضها تكون في كتاب ضخم لا يسهل تناوله. ولما بلغ عدد الصفحات ١٤٠ اثرت ان تكون جزءاً قائماً بذاته يتلوه الثاني فالثالث. ان شاء الله تعالى.

ولقد كنت في باديء الأمر سأجعله قاصراً على العظات والخطب والمراثي ، ولكني وجدت ان له خطابات وكتباً قد تعب في انشائها وتركها عرضة للضياع فلم يفتني الاعتناء في جمعها وتدوينها ودعوت المجموع باسم « آثار المتنيح الايغومانس فيلوثاوس » . آملاً من أفاضل الاقباط بأن يرسلوا لي ما يجدونه بخطه لتدوينه في هذه المجموعة التي أرجو ان تكون مفيدة نافعة . والله اسأل ان يساعدني لادراك ما اتمنى انه سميع مجيب .

تنبيه — طبعت من هذا الجزء اربع عشرة ملزمة في مطبعة التوفيق واتممت البقية بالمطبعة المصرية الاهلية .

« اعكف على القراءة والوعظ والتعليم »
(١ تي ٤ : ١٣)
« اكرز بالكلمة اعكف على ذلك في وقت
مناسب وغير مناسب وبخ انتهر عِظ
بكل اناة وتعليم »
(٢ تي ٤ : ٢)

مجموعة

خطب وعظات ومراث

للمتنيح الايغومانس فيوثاؤس

رئيس الكنيسة الكبرى المرقسية سابقاً

جمعها وشرح بعض موادّها

الفقير الى رحمته تعالى

جرجس فيلوثاؤس عوض

الذي يحفظ لنفسه الحق في اعادة الطبع

مطبعة التوفيق بمصر

مقدمة الناشر

الحمد لله الذي بنى كنيسته على صخرة الايمان، ووطّد اساساتها على ما كان يلهمه لرجال الفضل والعرفان ، واقام رعاة عاملين في سبيل رقيها بالوعظ والارشاد ، فأهدونا بعظاتهم المؤثرة الى سبل الرشاد

وبعد ، فيقول الراجي عفو ربه الكريم جرجس فيلوثاؤس عوض ـ الطنطاوي مولداً ومنشأ ـ ان للمتنيح الايغومانس فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكبرى بالقاهرة سابقاً خطباً ومواعظ ومراثي في مواضيع شتى بعضها قد كتب في قراطيس متفرقة لم تجمع بعد في كتاب واحد . وقد طلب بعض الافاضل ان اجمعها معاً لفائدتها وعدم ضياعها كما ضاع غيرها من قبل ، فلم يسعني الا اجابة طلبهم والعمل كرغبتهم حرصاً على مافيها من الفوائد الفرائد . ولم يفتني شرح بعض موادّها الغامضة والادلال على آياتها الكتابية في بعض النقط التي لم تذكر .

ولقد ضمنت هذا الكتاب النفيس :

١ً ـ الخطبتين اللتين انشأهما لعيدي الميلاد والقيامة وطبعهما اولاً على حدة في مطبعة الوطن القديمة بالقاهرة في سنتي ١٨٨٩ و ١٨٩٠ م في كتيبين ثم جمعهما معاً في سنة ١٨٩٩ في كتاب واحدٍ دعاه « تهانٍ مجيدة على الميلاد والقيامة السعيدة » .

٢ً ـ خطباً ارتجالية كان يلقيها في الكنيسة الكبرى في ايام آحاد الصوم الكبير . قد اخذ ملخصها حضرة الفاضل الكاتب حبيب افندي طياب وقد ادرجت ما ابقت عليه الايام منها الضياع معظمها اذ لم يبق سوى اربع فقط

٣ ـ خطبتين على القيامة قد ادرجتا بمجلة التوفيق

٤ ـ بعض خطب ادرجت في كتب متفرقة واوراق متناثرة

٥ ـ مراث بعضها ادرج في الصحف وبعضها على حدة وبعضها جمع في كتاب « مجموع المراثي العزائية للكنيسة القبطية الارثوذكسية » . الذي جمعه حضرة اقلاديوس بك لبيب حنا الميري وطبعه بمصر في ابيب سنة ١٦١٤ ش . على نفقة غبطة البطريرك الحالي

وقد اشرت في اول كل خطبة عن كل ما يختص بها دالاً على الزمان والمكان والسبب الذي دعاه الى قولها .

وان يكن ماجمع من نتائج ابحاثه ومعلوماته ومجهودات افكاره لم يكن سوى قطرة من بحر علمه الا انني لم اتركها لعبث الايام اذ مالا يدرك كله لا يترك جلّه . ولذلك فانني اطلب من حضرات ذوي الفضل ومحبي العلم الذين اتوسم فيهم خيراً ان يدلوني على مايجدونه من الصفحات المطوية التي لم أتمكن من الوقوف عليها خشية ان تضيع بتقادم العهد عليها كما ضاع غيرها . سائلاً المولى الكريم ان يرشدنا الى طريق الهدى

يوم السبت ٣٠ بشنس سنة ١٦٢٩ ـ ٧ يونيو سنة ١٩١٣

جرجس فيلوثاوس عوض

(تقدمة الكتاب)

الى روح مؤلفه الخالدة

تخذ الكتّاب ـ ولا سيما في هذه الايام ـ عادة رأوا فيها فائدة لانفسهم ولنشر مبادئهم بان يقدموا الكتب الى رجال المال ولو كانوا غير مستحقين لما يصاغ لهم من قلائد المديح قصداً في ان يمدوهم بما يستعينون به على طبعها لكساد سوق الأدب في بلادنا. ولكنني لا أريد ان اطرق هذه الطريق واسير فيها بل جعلت اتعابي قرباناً على مذبح الخدمة العامة فقدمت الكتاب الى روح ذلك الرجل العامل الذي كرّس حياته في سبيل انهاض امته فاتجر في الوزنة وربح وترك ذكره خالداً لا يقوى على محوه كرور الايام وتقادم الحدثان . اذ لم يضن على ابنآء كنيسته بما وهبه الله من الحكمة بل كان عند ما يعلو المنابر يجتذب قلوب سامعيه ويسلب عقولهم بدراري الفاظه العسجدية وعذوبة الفاظه وفصيح اقواله فيقودهم الى طريق الهدى ويرشدهم الى محجة الصواب عملاً بقول الكتاب : « اعملوا لا للطعام الفاني بل للطعام الباقي للحيوة الابدية » (يو ٦ : ٢٧)

فلذلك اقدم الى روحك ايها العامل العالم الدائم الذكر هذا الكتاب سائلاً المولى ان يجزل لي الثواب . آمين

المتنيح الابيفوماتس فيلوثاؤس

رئيس الكنيسة الكبرى المرقسية سابقاً

ولد بطنطا حوالى سنة ١٥٥٣ ش (١٨٣٧ م - ١٢٥٢ هـ)

وتنيح في يوم الخميس اول برمهات سنة ١٦٢٠ — ١٠ مارس سنة ١٩٠٤

بهجة الفؤاد بتهنئة الميلاد [١]

فاتحـة

« المجد لله في العلا وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة »

(لو ٢ : ١٤)

وبعد ، فاذ كانت جرت سنة اخوان الدين ، وسرت سجية الاعزآء المتوادّين ، على ان يتبادلوا في المواسم الشريفة طرائف التهاني ، ويتناقلوا في الاعياد المنيفة ظرائف العبارات ولطائف المعاني ، ففي العام الميمون المنتهي ، انشأت مقالة تهنئة على عيد الفصح البهي ، سميتها « تهنئة العيد بقيامة الوحيد » . وقدمتها هدية للسادة الآباء الاحبار الرؤساء ، والأئمة الموقرين الفضلاء ، ولكثير من علماء النصرانية النبلاء ، ووجهاء المسيحيين المصريين والسوريين النبهاء ، والمنة لله قد حازت هديتي من لدنهم قبولاً كريماً ، وحلت لدى ساحات فضلهم حلولاً وسيما ، وحيثما ان مهرجان الميلاد السيدي قد اشرقت أضواء أنسه فتكلل ببهجته عامنا الحالي باحسن ختام ، وعبقت ارائج قدسه فتجمل بيمنه افتتاح العام الحالي بطوالع

---

(١) طبعت اولاً بمطبعة الوطن القديمة وقال المؤلف : « وكان تبييضه في غاية شهر طوبه سنة ١٦٠٦ للشهداء موافق ٢٥ كانون الثاني شرقي سنة ١٨٩٠ مسيحية » اهـ . — وقد تفضل عليَّ المؤلف بنسخة منها في يوم الاحد ١٣ برموده سنة ١٦٠٦ و ٢٠ ابريل سنة ١٨٩٠ — ثم اعاد طبعها ثانياً في سنة ١٨٩٩ م مع « تهنئة العيد بقيامة المجيد » . ونقلها حضرة الشماس جوهر افندي عطيه في كتابه « العظات الجوهرية » الذي طبع حديثاً —

البشر والابتسام ، رأيت استتماماً للتهاني العيدية ، وقياماً ببعض واجبات المواسم السيدية ، اعتماداً على ما أتحفني به السادة الافاضل من اللطف المشهور ، بقبولهم تهنئتي الفصحية مع ما في عبارتها من البساطة والقصور ، ان اقدم الآن لحضراتهم تهنئة خالصة عن سليم الفؤاد ، لفوز جميعهم بمسرورية مهرجان الميلاد ، واستقبالهم بطمأنية مبادئ العام المسيحي الجديد ، الذي نرجو جميعنا الحق سبحانه ان يجعله على العموم غرة مستقبل هنيء سعيد .

واذ كان لا بد من تناسب معاني التهاني لاصل الموضوع ، واعتبار المقام لدى المقال المشروع ، وكان موضوع موسمنا فائق القدر ، باذخ الخطر ، اذ هو في الحقيقة مولد من هو مولود في الازل من الآب ، ومظهر من هو موجود في القدم قبل الدهور والاحقاب ، واستعلانه في الايام الاخيرة بالجسد من الأم البتول ، بسرٍّ تعجز عن ادراك كنهه مدارك العقول ، يتعيّن عليَّ ألاَّ اجعل تهنئتي مجرّد مقالة اعتيادية عارية عن الآيات الطاهرة ، والبينات الظاهرة ، بل لا بد من ان أُوشيها بحلى النصوص المقدسة الصريحة ، وأُحليها بمعانٍ لاهوتية صحيحة ، اعتباراً لموضوعها الفائق ، وسرها الرائق ، وها اني اقسمها الى ثلاثة فروع زاهرة ، وخاتمة بالحسن باهرة ، واملي وطيد في كرم شيمكم يا أولي الحلم والكمال ، ان تتنازلوا لقبول تهنئتي بأيمن اللطف والافضال ، جرياً على سني سجاياكم . ووفي مزاياكم ، متعكم العلي بتوالي المسرّات بسرائر الميلاد ، وبلغكم من سعيد العمر ورغيد العيش اخائر المراد .

الفرع الأول

« في من هو المولود صاحب الذكر المعهود »

ان المولود - من نحو تسعة عشر جيلاً من مريم كريمة هالي الذي هو يواقيم من بيت داود النبي والملك الذي هو من سبط يهوذا بن يعقوب اسرائيل حفيد ابراهيم الخليل في أرض اليهودية في مدينة بيت لحم - هو يسوع المسيح شارع شريعة الانجيل الفضلى الذي وان يكن ظهر للعيون البشرية انساناً حقيقياً كاملاً بنفس عاقلة ناطقة وجسد لحمي تام فهو الكلمة الازلي الكائن مع الله الآب وروحه القدوس في وحدة الذات والجوهر قديماً قبل كل الدهور. الأقنوم الحي المولود من أقنوم الآب مولداً أزلياً منزهاً عن البدائة والادراك ذلك الذي بقدرته كان كل شيء مما كون في عالمي السموات والارض وبدونه لم يكن شيء من سائر المبدعات، ذلك الذي لمجرد الصلاح الالهي تنازل بحكمته الرفيعة واتخذ بفعل الروح القدس من دماء السيدة العذراء مريم جسداً طاهراً مكملاً اياه بنفس زكية عاقلة ناطقة واتحد به اتحاداً ذاتياً جوهرياً قنومياً منزهاً عن كل ضروب الاستحالة والتغيير وعن كل اختلاط وامتزاج. فهذا هو المولود من مريم البكر وبه نؤمن ونعترف ونبشر كارزين بآيات انجيله المنير: « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله كل به كوّن وبغيره لم يكوّن شيء مما كوّن فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس »[1] ونعلن مع رسوله السعيد: « الذي كان من البدء. الذي سمعناه.

---

(١) يو ١: ١ — ٤

الذي رأيناه بعيوننا الذي تأملناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة لان الحياة قد ظهرت ورأيناها ونشهد ونبشركم بالحياة الابدية التي كانت عند الآب فظهرت لنا. الذي رأيناه وسمعناه به نبشركم لتكون لكم أيضاً شركة معنا وشركتنا انما هي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح ونكتب اليكم بهذا ليكون فرحكم كاملاً »[1]

فاللاهوت الاقدس غير ممكن البتة لطبيعة المخلوقين ادراكه ولا رؤيته فبسر تجسد الابن الكلمة وظهور عظائم القدرة الازلية عن شخصه الكريم تمتع المؤمنون بمعرفة اللاهوت بالايمان والتقرب اليه بالطاعة والاذعان.

كما ان النفس العاقلة الناطقة الكائنة في كل شخص بشري لا يمكن لعين الحسّ ان تراها أو تدركها اذ لا ترى في الشخص الانساني غير بشرة ظاهرة حية حساسة متحركة اسوة باقي الحيوانات. لكن لما كانت هذه البشرة ليست مجرد جوهر حيواني فقط خالٍ عن الروحانية بل متحدة بجوهر روحاني وهي النفس النورانية اللطيفة الغير مدروكة للحس اتحاداً طبيعياً شخصياً وكان الاثنان بالاتحاد واحداً بالعدد الشخصي وأفعاله المختلفة صادرة عن مبدأ واحد فأعماله النطقية التي امتاز بها عن جميع الحيوانات الخرس برهنت عن جوهر النفس. فتعقلات الانسان وتمييزه وادراكاته واختراعاته وامتداد فكره في الماضيات والمستقبلات فضلاً عن الحاضرات وترقيه في القوى الذهنية الباطنة وقبوله ذهنياً صور الاضداد بلا تشويش ولا فساد الى غير ذلك من الخواص النطقية دلّت وشهدت وحققت وجود جوهر النفس الناطقة الروحانية في الشخص الانساني.

---

(١) ١ يو ١ : ١ ـ ٤

وان لم تكن العين الباصرة بالتي تشاهدها حساً انما لما وقع نظرها على أفعال الانسان وشاهدت منه مايعجز كافة أطوار الحيوانات العادمة النطق ورفعت أمر ذلك الى الفكر الصحيح وتأملها تأملاً مخلصاً وقابلها على سائر خواص الحيوانات ذوات الجواهر المجردة عن الروحانية واذا به قد وجدها صادرة ولا شك عن خاصة جوهرية غير ملحوظة لاحظّ للجسماوات فيها بالجملة ، فحكم بذوقه السليم بوجود النفس الناطقة وعاينها بنظره الباطني وشهد بان الشخص الانساني ليس فقط بحيوان بل انه ولا شك حيوان وحقق ذلك وتأكده تأكداً شافياً من جهة النص الالهي الشريف الذي أبان جلياً حال اعلانه تاريخ خلقة الانسان بكونه مركباً من جوهرين : لطيف روحاني وهو الروح العاقل وكثيف أرضي وهو الجسد الترابي. قال الوحي المقدس: « وقال الله لنصنع الانسان على صورتنا كمثالنا وليتسلط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع الارض وكل الدبابات الدابة على الارض فخلق الله الانسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً وانثى خلقهم . »[1] ففي هذا النص الالهي الدليل الساطع على وجود الجوهر اللطيف النوراني أعني الروح العاقل الناطق وذلك بيّن من جهتين : الاولى النسبة والثانية الاختصاص. فمن جهة النسبة كونه أعني الانسان أُبدع على صورة الباريء ومعلوم ان الباريء تعالى ليس هو بجسم ولا جسماني بل روح متعال أزلي غير محدود ولا مدروك . فقوله تعالى على صورتنا لايشير البتة الى الجسم الترابي بل عن جوهر الروح النوراني خاصة الذي هو في الحقيقة

(١) تك ١ : ٢٦ و٢٧

على صورة مبدعه حي عاقل ناطق . ومن جهة الاختصاص كون الباري منح الانسان السلطة والسؤدد على عالم الحيوانات البحرية والجوية والبرية ومن المحقق ان الانسان لم يتسلط ولم يسد على الحيوانات بمجرد قوى الجوهر الجسماني اذ كانت نهاية قوى جسمه بازاء القوى الحيوانية كلاشيء وانما لم يتسلط ولم يسد على الحيوانات كيف كانت انواعها ومهما كانت قواها الا بأفعاله النطقية أي بسياسته وتدابيره وحكمته الصادرة عن محض الجوهر النطقي العاقل أي الروح وقال النص الالهي أيضاً مبيناً تركيب الانسان من الجوهرين هكذا : « وان الرب الاله جبل الانسان تراباً من الارض ونفخ في انفه نسمة حياة فصار الانسان نفساً حية ».[1] ولا اوضح من هذا البيان في اثبات تركيب الشخص البشري من الجوهرين: الكثيف المحسوس واللطيف المعقول. فالجوهر الكثيف هو المجبول من تراب الارض ولا مراء . والجوهر اللطيف هو نسمة الحيوة الممنوحة من لدن المبدع تبارك وتعالى

فكما ان النفس العاقلة وان لم تر لعين الحسّ لكنها بدلائل أفعالها العقلية وشهادة النص الالهي نُظرت وفهمت وتحققت لعين البصيرة النطقية على هذا القياس حال سيدنا يسوع المسيح الذي وان لم تكن الآنام تشاهد في ظاهر شخصه الا انساناً حقيقياً مولوداً من امرأة لكنها لمّا القت انظارها على اعماله الرفيعة وطرحت اسماعها لتلقي اصوات اقواله المجيدة وحكمه البليغة ومست بلمسها فنون معجزاته الباهرة ورفعت أمر ذلك الى حكم النظر العقلي الصريح الغير مقتم بغياهب البهت والحيف واذ تأملها جيداً

---

(١) تك ٢ : ٧

وتعقلها تعقلاً شافياً واذا به قد وجدها تفوق اطوار النوع الانساني بل مما تعجز دون الإتيان به قوى غيره من الشارعين فحكم وشهد على ان مثل هذه الخوارق لن تصدر عن محض قوة مخلوقة بل عن قدرة الهية أزلية ومن ثمَّ انجلى له بكل ايقان معنى مابشر به الصوت الانجيلي الحقيقي قائلا: «والكلمة صار جسداً وحل فينا وقد أبصرنا مجده مجد وحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً».(١) أي ان الابن الازلي لما حل بيننا بواسطة التجسد الشريف وان كنا لم نرَ لاهوته الازلي بأعيننا اذ كان ذلك من الممتنعات على المخلوقين لكننا لما رأينا من افعاله السامية ماتعجز دونه قدرة المخلوقين بل مما يفوق طاقة غيره من الشارعين إذ رأيناه يطرد الموت بأمره عن المائتين ويهبهم الحياة وينزع الامراض العضالة المختلفة عن المصابين بها ويصحح الاجسام من عاهاتها المزمنة مهما كانت ويبرىء الاذهان من الجنون ويطرد الارواح الشريرة بصوته ويسكت العواصف واضطراب البحور بايعازه ويوجد الخيرات من لاشيء بمجرد تبريكه الى غير ذلك مما اظهره من المعجزات الفائقة مع اشخاص كثيرين وفي أماكن متعددة كل ذلك بمجرد سلطانه واختياره لا بواسطة ولا باستعانة واستمداد قوة بل بقدرته المطلقة. والاعجب من ذلك كونه يهب بسلطانه الذاتي لتلاميذه الضعاف المساكين الأميين ان يصنعوا المعجزات الباهرة باسمه. فليت شعري من ذا الذي امكنه من الأنبياء والآباء الافاضل ان ينادي على اصحابه قائلاً: «اشفوا المرضى أقيموا الموتى طهروا البرص اخرجوا الشياطين مجاناً أخذتم فمجاناً اعطوا»(٢) سوى السيد المسيح خاصة. وحقيقة وفعلاً عند ماقرع آذان

---

(١) يو ١ : ١٤ (٢) مت ١٠ : ٨

تلاميذه صوت هذا السلطان أُوعبوا من القوى العلوية وجالوا في المدن والقرى والحقول والمجامع مبشرين بانجيله وصانعين هذه المعجزات الباهرة بانجيله الكريم

لعمري ان العظيم موسى نبي الله وكليمه اذ لم يكن في حد ذاته سوى محض انسان مخلوق انتخب بالنعمة الالهية لرتبة النبوة الجليلة مع ما اراد الله من المعجز في مدين بجبل حوريب اذ تجلت له رؤيا الهية كنار في عليقة وهي لا تحترق ونودي من الله من وسطها يبعثه رسولاً لفرعون لانقاذ شعب اسرائيل من عبوديته ومع تشجيع الصوت الالهي اياه واظهار العجائب امامه تكرارا والالحاح عليه بالاذعان فيما انه كان مستعفياً من ذلك استصغارا بنفسه ثم ارفق معه هرون في الرسالة وأخيرا اذعن للامر [١]، لم يكن يصنع أية أمام فرعون من تلقاء ذاته بل بتكليفه هو وهرون بالامر الالهي بفعلها لا بمجرد اختيارهما ولا قوتهما [٢]

ومن ذلك يتبين الفرق بين اجراء المعجزات من السيد وبين اجرائها من الانبياء العظام كموسى وغيره قال النص الرسولي مبيناً امتياز السيد هكذا: «فان هذا قد حسب أهلاً لافضل من مجد موسى بمقدار ما كرامة باني البيت افضل من البيت فان كل بيت له بانٍ والحال ان باني الكل هو الله وقد كان موسى امينا في جميع بيته كخادم شهادة لما سيقال اما المسيح فكالابن على بيته الخ» [٣] وهذا مطابق لما قاله النص الانجيلي: «لان الناموس اعطى بموسى وأما النعمة والحق فبيسوع المسيح حصلا» [٤]

---

(١) خر ٣ (٢) لاحظ خر من ص ٧ الى ص ١٦ وسفر العدد ٢٠ وغيره

(٣) عب ٣ : ٣ الى ٦ (٤) يو ١ : ١٧

فمن ذلك قد ايقنّا بأن اعمال المسيح الرفيعة لن تصدر الاعن لاهوته الازلي المتحد ذاتياً بناسوته وبها ومنها رأينا ببصائر العقل مجده الفريد وآمنا بانه بالحقيقة الابن الوحيد لله الآب الازلي. فوإن كان كما يهتف النص الانجيلي هكذا: «الله لم يره احد قط». (لكن كما يستتبع النص الانجيلي): «الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو اخبر».[1] اي وان يكن ممتنعاً على الانسان ان يرى الجوهر الالهي الازلي بعين الحس انما إذ قد تجسد الابن الازلي وشاهده الانام بواسطة التجسد وعاينوا ما ابرز من تلقاء ذاته من مخدرات اعمال القدرة الالهية بسلطانه فاستدلوا بما عاينوه من الآثار الظاهرة على لاهوته الخفي وعملوا ذلك وآمنوا به حقاً وصدقا

الفرع الثاني

في تاريخ مولد الوحيد

« وفيه ثلاث نبذ »

(النبذة الاولى)

في البشرى بالحمل به وما حدث به بعد ذلك قبل مولده

انه في كمال خمسة آلاف وخمسمائة سنة وكسور للعالم على موجب حسابنا نحن الشرقيين وفي سنة ٧٥٢ لانشاء مدينة رومية العظمى في عهد أُوغسطس قيصر الروماني في زمن تملك هيرودس الكبير على اليهودية حيث كان مضى على حبل العجوز اليصابات امرأة زكريا الشيخ الكاهن

---

(١) يو ١ : ١٨

بولدهما العظيم يوحنا ستة أشهر اذ كانت العذراء مريم موجودة بصفة مخطوبة ليوسف الصديق الذي هو من بيت داود في مدينة الناصرة من قسم الجليل تعين جبرائيل الملك العظيم النوراني من لدن العزة الالهيـة الى السيدة المشار اليها مخاطباً لها بالتحيـة والاحترام الفائقين ومبشراً لها بسر تجسد الوحيـد من أحشائها الكلية النقاوة وهاك النص الانجيلي الشارح تاريخ بشراه اليها قال : «وفي الشهر السادس أُرسل الملاك جبرائيل من قبل الله الى مدينة في الجليـل تسمى ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل اسمـه يوسف من بيت داود واسم العذراء مريم فلما دخل اليها الملاك قال السلام عليك يا ممتلئة نعمة الرب معك مباركة أنت في النساء . فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى ان يكون هذا السلام فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم فانك قد نلت نعمة عند الله وها أنتِ تحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع . وهذا سيكون عظيماً وابن العلي يدعى وسيعطيه الرب الاله عرش داود أبيه ويملك على آل يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه انقضاء . فقالت مريم للملاك كيف يكون هـذا وأنا لا أعرف رجلاً . فأجاب الملاك وقال لها ان الروح القدس يحل عليك وقوّة العلي تظللك ولذلك فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله، وها أن اليصابات نسيبتك قد حبلت هي ايضاً بابن في شيخوختها وهذا الشهر هو السادس لتلك المدعوة عاقراً لانه ليس أمر غير ممكن لدى الله . فقالت مريم: ها أنا أمة الرب فليكن لي بحسب قولك وانصرف الملاك من عندها»[١]

فالمستفاد من هذا النص ان الملاك بعد ما حيّا السيدة بالاجلال وهنأها

---

(١) لو ١ : ٢٦ — ٣٨

بما حصلت عليه من النعم الالهية وقد كان أراعها خطابه واستغربت تحياته أطمأن روعها وبشرها حينئذٍ بالسر المنيف المكنون في العلم الازلي بكونها تحمل وتلد ابناً وحيداً في ذاته فريداً في صفاته مجيداً في شأنه خطيراً في قدره ونجل العلي يدعى وانه سيملك على عرش المملكة الروحية ملكاً دائماً لا ينقضي. واذ استعظمت البشرى بالحمل حالة كونها عذراء بتولاً منزهة عن شركة الزواج حقّق لها ان حملها الهي فائق الاحكام الطبيعية لكونه بالروح القدس الذي يحلّ عليها وقوة العلي التي تظللها وان مولودها قدوس وهو ابن الله وأورد لها شاهداً محسوساً على صدق بشراه حبل العاقر اليصابات الممتنع على مثلها ان تحمل وتلد فكما ان العاقر حملت بالقدرة الالهية التي لا يمتنع عليها أمر. كذلك لا يمتنع على هذه القدرة السرمدية ان تحمل البتول المصونة المنزهة عن شركة الزواج بابن هو الكلمة الازلي المتجسد. واذ تحققت البتول ان البشرى إلهية والحمل هو بالروح القدس سلمت شأنها للمسرة العلية وأمنت على قبول البشرى الملائكية. هذا ما نستفيده من النص المقدس

قلت: وفي حال اجابة السيدة بأنها أمة الاله وقابلة بما سرّ به تعالى تمم الكلمة الازلي بسرّ غير مدروك ولا مفحوص أمر تجسده الشريف منها وحمل جسدياً في حشاها الطاهر الزكي ثم انها تحركت بالهام الهي خفي لزيارة بيت زكريا الكاهن قرين اليصابات العاقر الحاملة بيوحنا. قال النص الانجيلي: «في تلك الايام قامت مريم وذهبت مسرعة الى الجبل الى مدينة يهوذا ودخلت الى بيت زكريا وسلمت على اليصابات فعند ما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت اليصابات من

الروح القدس فصاحت بصوت عظيم وقالت: مباركة أنت في النساء ومباركة ثمرة بطنك من أين لي هذا ان تأتي ام ربي اليَّ؟ فانه عند ما بلغ صوت سلامك الى أذني ارتكض الجنين من الابتهاج في بطني .فطوبى للتي آمنت لانه سيتم ما قيل لها من قبل الرب . فقالت مريم :تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي لانه نظر الى تواضع أمته فها منذ الآن تطوبني جميع الاجيال لان القدير صنع بي عظائم واسمه قدوس ورحمته الى اجيال واجيال للذين يتقونه. صنع عزّاً بساعده وشتت المتكبرين بأفكار قلوبهم .حطّ المقتدرين عن الكراسي ورفع المتواضعين اشبع الجياع خيزاً والاغنياء أرسلهم فارغين عضد اسرائيل فتاه فذكر رحمته كما كلم آباءنا. لابرهيم ونسله الى الابد . ومكثت مريم عندها نحو ثلاثة أشهر ثم عادت الى بيتها » .(١)

فمن هذه الزيارة انجلت بواهر معجزة وحكم بليغة :

أولاً ـ ان بمجرد صوت سلام السيدة ارتكض جنين اليصابات في بطنها مبتهجاً .

ثانياً ـ أوعبت العجوز من هبات الروح القدس وافتتحت خطابها هاتفة بالتبريك لمريم بنفس التبريك الذي خاطبها به جبرائيل الملاك اذ كان ذاك قال لها في جملة تحياته: «مباركة أنت في النساء» . وهكذا كان افتتاح خطاب هذه واضافت على ذلك قائلة: «ومباركة ثمرة بطنك» .ومن ذلك أعلنت بروح النبوة ان ليس لها الاّ ثمرة واحدة أعني ابناً وحيداً .

ثالثاً ـ ان جنينها يوحنا قد أوعب من مواهب الروح القدس وهو

---

(١) لو ١ : ٣٩ — ٥٦

في بطنها تطبيقاً للوعد الالهي الذي اعلنه جبرائيل الملاك لزكريا حالما بشره بمولد يوحنا [١]

رابعاً ـ كشفت لها النبوة ان السيدة هي بالحقيقة أم الرب الإله المتجسد ثم طوبتها على هذه النعمة الرفيعة .

خامساً ـ ونفس السيدة بعد مارفعت التعظيم للعزة الالهية متهللة روحها باله الخلاص الناظر الى سرائر القلوب حققت بروح النبوة القدسية امتداد مملكة من هو محمول في حشاها لا في جيل واحد بل في قاطبة الاجيال . وحققت انها بالنظر لما صنعه القدير القدوس معها من سامي العظائم بان اختارها من بين جميع نساء العالم لان تصير اماً له بالتجسد العجيب قد صارت مستحقة نشر معطرات التطويب وعبير المديح والثناء لا من اليصابات فقط بل من جميع المؤمنين ولا في جيل واحد فقط بل في جميع الاجيال اينما كرز بانجيل وحيدها وحيثما وجد الايمان به في اقطار العالم الى منتهى الدهر .

ثم ان السيدة بعد ما لبثت في بيت زكريا ثلاثة أشهر عادت الى مدينة الناصرة هذا والكلمة الاولى الذي حمل في حشاها بالجسد كان يستتم مدة الحمل في بطنها كالقانون المألوف لكل جنين مانحاً لجسمه الشريف النمو البشري شيئاً فشيئاً . واذ ظهرت في خلال ذلك سيمات الحمل على البتول وكان البار يوسف خطيبها غير مطلع على السر الالهي رابه الامر ونظراً لصلاحه لم يرد ان يشهر أمرها لئلا تكون عرضة للاوهام والازعام وعزم على اطلاق سراحها من بيته بطريقة سرية فتجلى له الملاك السموي من

---

(١) لو ١ : ١٥

قبل الاله ليلاً وازال عنه الخوف من جهة السيدة وحقق له شرف حملها قائلاً له : فان المولود فيها انما هو من الروح القدس وستلد ابناً فتسميه يسوع لانه هو الذي يخلص شعبه من خطاياهم [١] . فتحقق البار حينئذٍ من هـذا الوحي الالهي قدر ما بلغت اليه السيدة من رفيع المنزلة وسمو الشأن اذ انها بمعزل عن كل نساء العالمين وبما يفوق حدود الطبيعة استحقت بمفردها ان تكون عرشاً لكلمة الله الازلي النور الصادر من النور بالتجسد المجيد .ومن ثمَّ عرف حقارة ذاته في جانب سمو قدرها واخذ في خدمتها كما يحق لانسانٍ تقي يخدم والدة الاله الكلية القداسة

(النبذة الثانية)

« في مولده الشريف »

انهُ لما استكملت السيدة العذراء مدة الحمل ولدت وحيدها وهو حافظ بتوليتها اذ كان الحمل به بما يعجز دونه قانون الطبيعة اي بسر قدرته الازلية وفعل الروح القدس هكذا مولده المجيد كان بما يفوق نواميس الطبيعة اي بسر القدرة الازلية فكما أنها حملت وهي بتول ولدت وهي بتول ولم تزل بتولاً دائماً. وهذه الحكمة التي تفرَّد بها مولد الابن من العذرا سبق الوحي الالهي فانبأ بها بصوت النبوَّة المقدسة قبل زمن التجسد بأجيال (كما سترى نص ذلك في الفرع الثالث ان شاء الله)

اما مولد الوحيد فكان على هذه الصفة. قال النص الانجيلي الشريف : «وفي تلك الايام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب جميع المسكونة وجرى هذا الاكتتاب قبل ولاية كيرينيوس على سورية فانطلق الجميع

---

(١) مت ١ : ١٩ — ٢١

ليكتتبوا كل واحد الى مدينته وصعد يوسف ايضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لانهُ كان من بيت داود ومن عشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى. وبينما كان هناك تمت أيام ولادتها فولدت ابنها البكر فلفته وأضجعته في مذود لانه لم يكن لهما موضع في المنزل. وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البادية يسهرون على رعيتهم في هجعات الليل واذا بملاك الرب قد وقف بهم ومجد الله أشرق حولهم فخافوا خوفاً

ميلاد المسيح

عظيماً. فقال لهم الملاك: لا تخافوا فهانذا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب انه قد ولد لكم اليوم مخلص وهو المسيح الرب في مدينة داود. وهذه علامة لكم انكم تجدون طفلاً ملفوفاً مضجعاً في مذود. وظهر بغتة

مع الملاك جمهور من الجند السماويين يسبحون الله ويقولون المجد لله في

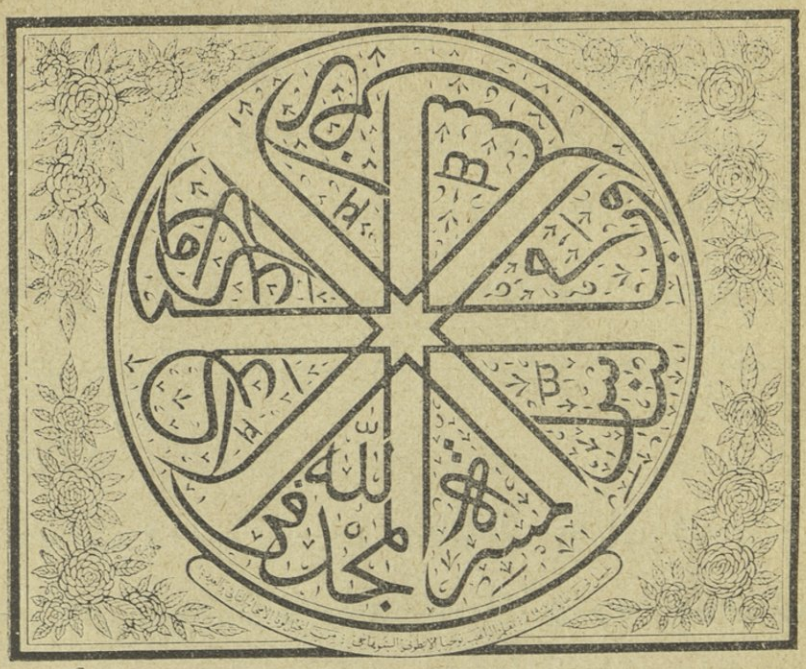

العلا وعلى الارض السلام للناس الذين بهم المسرة . فلما انطلقت الملائكة الى السماء قال الرعاة بعضهم لبعض لنمضِ الى بيت لحم وننظر هذا الامر الواقع الذي اعلمنا به الرب وجاؤا مسرعين فوجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المذود . فلما رأوه اخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن هذا الصبي فكل من سمع تعجب مما قال لهم الرعاة . وكانت مريم تحفظ هذا الكلام كله وتتفكر به في قلبها . ورجع الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوا وعاينوا كما قيل لهم . ولما تمت ثمانية أيام ليختن الصبي سمي يسوع كما سماه الملاك قبل ان يحبل به في البطن .[1]

---

١) لو ٢ : ١ - ٢١

(النبذة الثالثة)

« فيما حدث بعد مولده »

انه لما مضى على مولده اربعون يوماً جيء به الى الهيكل الاورشليمي مع السيدة والدته والبار يوسف وقدما عنه الذبيحة الناموسية المقررة في شريعة موسى لكل بكر ولما اتموا مايجب عادوا الى مدينتهم الناصرة. وكان الصبي يتقدم في القامة تدريجياً ودلائل الحكمة الالهية والنعمة الربية تظهر من قبله [١]

واذ كان يوسف والسيدة يمضيان كل سنة الى أورشليم في عيد الفصح [٢] ففي السنة الثانية لمولده بعد ماتمما رسوم الناموس في مدينة القدس عرجا على مدينة بيت لحم التي ولد فيها ونزلا في بيت وهناك جاء المجوس اليه بواسطة نجم سماوي كان ظهر لهم مخصوصاً ليكون دليلاً على محل وجوده وقدموا اليه خضوعهم وهداياهم (كما سيأتي بيان ذلك في الفرع الثالث) وبعد ماانصرف المجوس أمر يوسف من الله بواسطة الملاك في الرؤيا ان يأخذ الصبي وأمه ويمضي الى مصر حتى يموت هيرودس الطالب نفس الصبي فأخذ الصبي وأمه ومضى الى مصر وكان هناك حتى تجلّى له الملاك واعلمه بموت طالبي نفس الصبي وامره بالعودة الى ارضه فقام من مصر وعاد مع السيدة ووحيدها الى مدينة الناصرة. [٣]

ولما بلغ السيد اثنتي عشرة سنة صعد مع امه ويوسف الى اورشليم في عيد الفصح كالعادة السنوية. ولما انقضت أيام العيد تخلف الصبي يسوع في

---

(١) لاحظ لو٢ : ٢٢ الى ٢٤ وعدد ٣٩ و٤٠ (٢) عدد ٤١ (٣) مت ٢

أورشليم وبعد ثلاثة أيام وجدته السيدة ويوسف في الهيكل جالساً فيما بين معلمي الناموس يسمعهم ويسألهم وكان الجمهور مندهشين من فهمه وأجوبته. فلما نظراه بهتا. فقالت له امه: يا ابني لمَ صنعت بنا هكذا؟ ها اننا انا وابوك كنا نطلبك متوجعين. فقال لهما: لماذا تطلباني؟ ألم تعلما انه ينبغي لي ان اكون في ماهو لابي.[1]

كأنه يقول لهما: أما تعلمان اني وان كنت معروفاً لدى القوم باني ابن يوسف ولكنّ لي أباً واحداً حقيقياً أزلياً وهو الله وينبغي لي ان اكون في مايختص به من اتمام التدبير والحكمة التي تجسدت لاجلها. واني انما تأخرت في الهيكل لألقي على مسامع عبيدي درر الحكم حالة كوني صبياً. ثم قال النص: «وكان يسوع يتقدم في الحكمة والسن والنعمة عند الله والناس»[2]

ولم يزل حاجباً أمره عن الجمهور الى أن أظهر ذاته للعموم (كما سترى ذكر ذلك في الخاتمة عند ذكر عيد الظهور). ولرب سائل يسأل قائلاً: لماذا لم تبق السيدة مريم بدون خطوبة لرجل وكانت تحمل بالابن الوحيد وتلده وهي غير منسوبة لشخص؟ وما الحكمة في كونها تخطب ليوسف النجار خاصة وتدعى له امرأة حتى ان يوسف كان يسمى أبا للمسيح؟

فأقول: أولا — اما عن خطوبتها لرجل واعتبارها عند القوم كامرأة شرعية له فلأنها انتخبت منذ الازل لان تكون والدة للسيد المسيح ومن هذه صفتها ينبغي ان لاتكون موضوعاً للاوهام. فلذلك شاءت الحكمة ان تخطب لرجل ويشهر عنها للجمهور بأنها امرأة له حتى اذا ماولدت

---

(١) لو ٢ : ٤٢ — ٤٩ (٢) عدد ٥٢

وحيدها الاقدس لاتكون عرضة لسهام الاوهام ولامحلاً لتناقل الشكوك والازعام بحيث تكون معروفة لدى القوم بأنها في عصمة رجل فتكون الافكار العامة والحالة هذه مرتاحة من قبلها ومن قبل وحيدها. وحينئذٍ لم يكن مانع للقوم من الارتياح الى السيد وتلقي مفاخر الهداية عنه وكرائم النعم والحكم من قبله عند مايعلن دعوته للعموم. ومن ثمَّ يكون كشف حقيقة الامر للعالم أي بكون السيدة لم تحمل الا بالروح القدس والمولود منها انما هو المسيح الرب مخلص العالم. ولم يكن يوسف بوالد طبيعي له بل أباً وضعياً فقط موكولاً على ما كان مزمعاً ان يظهره السيد نفسه من بواهر أفعال قدرته المبرهنة على سمو شأنه ونزاهة مولده عن الاحكام الطبيعية ورفيع منزلة والدته الدائمة البتولية الامر الذي حققه له المجد وسلمه لكنيسته الجامعة الرسولية منذ الاجيال الاولى المسيحية ولا يزال عالم المسيحيين على اختلاف اجناسهم معترفين به للآن وغد والى انقضاء الدهر.

ثانياً ـ وأما كونها خطبت ليوسف النجار خاصة فلوجهين شرعيين: أحدهما كونه من سبط يهوذا من بيت داود وافراد العائلات الاسرائيلية كانت ناموسياً تتصاهر مع بعضها (١)

وإذ كانت السيدة وحيدة لوالديها اللذين هما أيضاً كانا من بيت داود، لذلك دبرت الحكمة خطوبتها ليوسف الذي هو من هذا البيت تطبيقاً للمواعيد الالهية وتحقيقاً لمجيء المخلص من نفس هذا البيت كما سبق وانبأ الوحي الالهي عن ذلك (كما سترى في الفرع الثالث بالنبذة الاولى). ثانيهما كون يوسف رجلاً أميناً تقياً باراً شهد له النص المقدس بالصلاح. (٢)

---

(١) لاحظ ماجاء في سفر العدد ٣٦ : ٨ (٢) مت ١ : ١٩

واستحق ان يتراءى له ملاك الرب مرات .منها بالناصرة عند ما كشف له عن سر التجسد المجيد.[١] ومنها في بيت لحم عند ماأوعز اليه بالذهاب مع السيدة وطفلها الى مصر.[٢] ومنها في مصر عند ماأمره بالعودة.[٣] فلذلك انتخب بتدبير الهي ليكون خطيباً للسيدة وان يحسب كرجل لها شرعي وان يكون مع ماهو عليه من الصلاح والكمال أميناً على خدمة هـذه السيدة الفائقة الطهر والشرف التي بمفردها استحقت ان تكون اماً لوحيد الله الآب الازلي الذي شاء بحكمته الغامضة ان يتجسد من الروح القدس ومنها ويولد طفلاً كباقي الاطفال ويتدرج في القامة كقانون الانسانية .

هذا مختصر تاريخ الوحيد على مقتضى النص الانجيلي المجيد.ومما مر بك علمت انه له المجـد فريد في تاريخ مولده بالجسد فهو فريد في صفة البشرى الملائكية به وفريد في حمله جسدياً اذ كان بالروح القدس لامن زرع بشرى وفريد من جهة والدته التي حملته وولدته وارضعته وهي بتول وفريد في مجد مولده وفريد في تدرجه في القامة (وستنظر في الفرع الآتي مفصلات الشهادات على مجده الرفيع)

الفرع الثالث

« في الشهادات الدالة على مجد الوحيد »

انني اجتزي هنا بان أقسم الشهادات التي تبرهن عن شرف المولود من مريم ومجده الالهي الى ثلاث نبذ: الاولى في الشهادات السابقة زمن تجسده . والثانية الصادرة في بدأة زمن التجسد . والثالثة الواقعة بعد مولده المجيد .

---

(١) مت١: ٢٠ (٢) مت ٢ : ١٣ (٣) مت٢ : ١٩ الخ

(النبذة الاولى)

« في الشهادات السابقة زمن التجسد »

انه ما عدا التجليات الربانية التي حصلت من أوائل تكوين العالم الدالة بطرق رمزية متنوّعة على ما كان مزمعاً حصوله فعلاً من ظهور الابن بالتجسد العجيب كتجلي الله تعالى لآدم وحواء في الفردوس حيث سمعا صوته وهو عابر في الجنة عند نسيم النهار.[١] وتجليه لابرهيم الخليل في بلوط ممرا وهو جالس بباب خبائه عند احترار النهار.[٢] وتجليه ليعقوب اسرائيل دفعتين الاولى في الحلم على رأس سلم بالغة الى السماء.[٣] والثانية كرجل يصارعه الى مطلع الفجر وقال يعقوب عن ذلك : «اني رأيت الله وجهاً الى وجه ونجت نفسي»[٤] .وتجليه تعالى لموسى النبي دفعات: منها الرؤيا التي رآها في الجبل وهي العليقة التي تتوقد بالنار وهي لاتحترق وناداه الله من وسطها .[٥] الرؤيا الغريبة العجيبة التي تدلنا بنوع أخص على سر التجسد المنيف اذ كان وجود نار تتوقد في عليقة وهي لاتحترق مما يرمز رمزاً عجيباً عن اتحاد اللاهوت الاقدس بالناسوت الشريف بسرّ يفوق الوصف. ومنها ظهوره في عمود الغمام على البحر الاحمر.[٦] ومنها تجليه بالنار على جبل سيناء بأصوات وبروق وغمام.[٧] وتجليه لهذا النبي ايضاً ولآخرين غيره دفعات أُخر كثيرة ولاسيما تجليه لدانيال النبي على هذه الصفة الشاهدة بحقيقة تجسد الابن الازلي قال النبي: «وبينما كنت ارى اذ نصبت عروش فجلس القديم الايام وكان لباسه ابيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي

---

(١) تك ٣ : ٨ (٢) تك ١٨ : ١ و ٢ (٣) تك ٢٨ : ١٢ و ١٣ (٤) تك ٣٢ : ٢٤ - ٣٠ (٥) خر ٣ : ٢ — ٨ (٦) خر ١٤ (٧) خر ١٩ : ١٦ الخ

وعرشه لهيب نار وعجلاته ناراً مضطرمة ومن أمامه يجري ويخرج نهر من نار وتخدمه ألوف ألوف وتقف بين يديه ربوات ربوات . . . . ورأيت في رؤى الليل فاذا بمثل ابن البشر آتياً على سحاب السماء فبلغ الى القديم الايام وقرب الى أمامه وأوتي سلطاناً ومجداً وملكاً فجميع الشعوب والامم والالسنة يعبدونه وسلطانه سلطان أبدي لا يزول وملكه لا ينقرض». [1] ففضلا عما ذكر فان الله تعالى قد حقق قديماً وصرح بوحيه المقدس الصادر على افواه السادة الآباء والانبياء الاطهار بانه لا بدَّ من ظهور السيد المسيح الذي هو كلمة الله المتجسد على الارض. وكان ذلك من قبل زمن التجسد بمئات من السنين الامر الذي دبرت الحكمة الرفيعة بتسجيله بالبيان في الكتاب الالهي القديم، اعني العهد العتيق الذي هو مجموع اسفار التوراة المقدسة والزبور الالهي والنبوات الصادقة وتاريخ الشعب الاسرائيلي الديني والسياسي الكتاب الذي لم تحافظ عليه فقط كنائس النصرانية بل حافظت عليه الكنيسة القديمة الاسرائيلية من عهد موسى النبي الى ان جاء السيد الفادي معتبرة اياه كدستور الهي صادق ولن تزال طوائف اليهود الى الآن وغدٍ محافظة عليه معتبرة اياه كنز ثمين ودستور متين لقواعد الدين. والعجيب ان الوحي المقدس كما انه لم يصدر على فم نبي واحد فقط أو في جيل واحد فقط بل على افواه آباء وأنبياء متعددين في اجيال مختلفة كذلك لم يأتِ مجملا ولا مبهماً ولا مما يمكن صرفه أو تأويل مدلوله الى شخص غير يسوع الناصري ابن مريم بل جاء مفصلاً ومبيناً تاريخه وصفاته واختصاصاته وأعماله ورفيع شأنه الامر الذي يستحيل تطبيقه على شخص آخر خلافه

---

(١) دا ٧ : ٩ و ١٠ و ١٣ و ١٤

ولذلك بكل جرأة قد برهن الرسول العظيم بطرس لليهود الذين استناروا بالايمان المسيحي على صدق مايكرز به عليهم وعلى خلافهم من جهة لاهوت الفادي بما جاء به الوحي الالهي سابقاً على افواه الانبياء وذلك انه بعد ما أورد الكلام عن تجلي السيد على الجبل المقدس وصوت الآب الشاهد له بالبنوة الازلية حيث كان الرسول حاضراً حينذاك مع اثنين آخرين من الرسل[1] قال : « وعندنا اثبت من ذلك وهو كلام الانبياء الذين تحسنون اذا اصغيتم اليه كأنه مصباح يضيء في مكان مظلم الى ان ينفجر النهار ويشرق كوكب الصبح في قلوبكم عالمين قبل كل شيء ان كل نبوة في الكتاب ليست بتفسير فرد من الناس لانها لم تأتِ نبوة قط عن ارادة بشر انما تكلم رجال الله القديسون محمولين بالهام الروح القدس ».[2] فكأنه يقول ان مانكرز به عن المسيح من جهة الهيته ليس فقط نؤكده بما عايناه وسمعناه ونشهد به بل نبرهن عليه أيضاً بنصوص الوحي النبوي السابق الذي نحرضكم على حسن التأمل اليه الى ان ينجلي كوكب صبح اليقين في اذهانكم من جهة مانبشركم به عن الابن الوحيد الازلي .

وهذا ما اردت ان اورده من بيان مدلولات النبوات بالاختصار :

(أولا) شهدت بالاجمال عن انه لا بدَّ من ظهور مخلص عظيم وهاهي بعض النصوص الدالة على ذلك. قال الله مخاطباً خليله ابرهيم جد اسرائيل : « ويتبارك في نسلك جميع أمم الارض من اجل انك سمعت لقولي »[3] قال الرسول معلم الامم مفسراً ذلك هكذا : « لتكون على الامم بركة ابرهيم بالمسيح يسوع . . . . وقد قيلت المواعيد لابرهيم ونسله ولا يقول :

---

(١) لاحظ مت١٧ : ١ — ٨ (٢) ٢بط ١ : ١٩ الخ (٣) تك ٢٢ : ١٨ و٢٦ : ٤

وللانسال يعني كثيرين بل ولنسلك يعني واحداً وهو المسيح»[١] وقال الوحي على لسان المرتل: «ينزل كالمطر على الجزة كالغيوث التي تسقي الارض ينبت في أيامه الصديق وكثرة السلام الى ان يضمحل القمر ويملك من البحر الى البحر ومن النهر الى اقاصي الارض .... ملوك ترشيش والجزائر يحملون اليه الهدايا ملوك شبا وسباء يقربون له العطايا ويسجد له جميع الملوك وتتعبد له كل الامم . . . يرثي للكسير والمسكين ويخلص نفوس المساكين من الظلم والغصب يفتدي نفوسهم ويكون دمهم في عينيه ثميناً فيحيون ويؤدون اليه من ذهب شبا ويدعون له كل حين . النهار كله يبارك كونه يكون اسمه الى الابد مادامت الشمس. ينمو اسمه ويتبارك فيه جميع قبائل الارض وتغبطه كل الامم. تبارك الرب الاله إله اسرائيل الصانع المعجزات وحده . وتبارك اسم مجده الى الأبد ولتمتلىء الارض كلها من مجده. آمين ثم آمين»[٢]

وقال الوحي بفم اشعيا النبي : «لذلك قال السيد الرب هاانني واضع حجراً مختاراً رأس زاوية كريماً موثقاً فمن آمن به فلن يتزعزع»[٣] وقد سبق هذا النبي بالوحي ايضاً عن هذا المخلص الذي هو رأس زاوية الايمان الكريم داود النبي حيث قال :«الحجر الذي رذله البناؤون هو صار رأساً للزاوية من عند الرب كان ذلك وهو عجيب في اعيننا»[٤] وقد نبه السيد له المجد اليهود المتآلبين ضده قبل آلامه على انه هو المشار اليه بهذه الآيات النبوية عليهم يعتبرون ويستفيقون حيث قال :«أما قرأتم قط في الكتب ان

---

(١) غل ٣ : ١٤ و ١٦ (٢) مز ٧١ : ٦ الخ وفي الترجمة البيروتية ٧٢

(٣) اش ٢٨ : ١٦ (٤) مز ١١٧ : ٢٢ و ٢٣

الحجر الذي رذله البناؤون هو صار رأساً للزاوية من عند الرب كان ذلك وهو عجيب في أعيننا . لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تصنع ثمرة ومن سقط على هذا الحجر يتهشم ومن سقط هو عليه يطحنه » .(١)

والرسول بطرس في خطابه في محفل رؤساء اليهود بعد ما صنع هو ويوحنا آية شفاء المقعد باسم يسوع نادى عليهم قائلاً : « فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب اسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم الذي أقامه الله من بين الاموات بذاك وقف هذا متعافياً. هذا هو الحجر الذي ازدريتموه أيها البناؤون الذي صار رأساً للزاوية وليس بأحد غيره الخلاص الخ » .(٢)

وقال الوحي أيضاً بفم هذا النبي أشعيا مشيراً عن الخيرات الروحية وتقويم السيرة التي تصير في عهد المسيح الذي يتجلّى مجده للعالم هكذا : « كل واد يمتلئ وكل جبل وتل ينخفض والمعوج يتقوم ووعر الطريق يصير سهلاً ويتجلى مجد الرب ويعاينه كل ذي جسد لان فم الرب قد تكلم » .(٣) وفي ماذكر مما جاء من الوحي الالهي المشير عن السيد بطريقة اجمالية الكفاية.

ولقد استفدنا من ذلك أن الحق تبارك وتعالى وعد وعداً صريحاً بأن بركة جميع الامم ستكون بواسطة من يأتي من نسل ابراهيم وانه يتنازل للعالم بحال عجيب وفي أيامه تحيا الفضيلة والبر وتمتد مملكته الى جميع أقطار العالم وتتعبد له الملوك وتصلي اليه كافة الامم ويبارك كونه كل حين ويقدمون له الهدايا والاحترام ألا وهو فادي الانفس وهو رأس

---

(١) مت ٢١: ٤٣ و ٤٤ (٢) اع ٤: ١٠ — ١٢ (٣) اش ٤٠: ٤ و ٥

بناء ملكوت الله الدائم الى الأبد اسمه . فمن ذا يا ترى الذي تنطبق على شخصه هذه المواعيد وتصح هذه الصفات على تاريخه سوى يسوع الناصري الذي هو بالحقيقة إله أزلي صار انساناً بغير استحالة. ومنذ مولده تقدمت له الهدايا والسجود (كما سترى) ولا تزال أشهر ملوك وممالك العالم تتعبد له. ومع ذلك فلننظر في بعض ما أتاه الوحي أيضاً لا بالاجمال بل بالتفصيل استتماماً للفائدة

(ثانياً) قد تعين بالنص الإلهي زمن مجيء المخلص وتحددت الاحوال الخاصة بذلك الزمن التي لا يمكن وقوعها في غير حينها فمن ذلك أن الوحي الرباني قد أنبأ قديماً بفم الأب يعقوب اسرائيل هكذا: «لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلو وتطيعه الشعوب». (١) فهذه النبوّة المقدسة الصادرة بفم أبي الاسرائيليين بنحو سبعة عشر جيلاً قبل المسيح على حساب الترجمة العبرانية قد عينت بالتحديد زمن مجيء المنتظر المشار اليه بلفظه شيلو أعني أن مجيئه الى العالم يكون في نهاية المملكة اليهودية حيث يتجرد نسل يهوذا بن يعقوب من التاج الملوكي الحر وبالتالي حيث تعدم أمة اسرائيل صولجان الملك المطلق. ومن المحقق البيّن أن السيد المسيح لما ولد كان الحكم اليهودي خاضعاً للمملكة الرومانية وذلك واضح من صدور أمر القيصر بالاكتتاب وعلى موجبه اكتتب كل واحد من اليهود على مدينته وبالجملة يوسف النجار الذي اكتتب هو والسيدة في بيت لحم مدينة داود (كما مر بك بيان ذلك في النبذة الثانية من الفرع الثاني عند ذكر المولد السيدي)

---

(١) تك ٤٩: ١٠ (معنى شيلو الامان والغرض من هذا الاسم هو المنتظر الذي تطيعه الشعوب

ومن ذلك ما كشفه الوحي الرباني لدانيال النبي العظيم حيث كان مسبياً مع شعبه بمملكة بابل الذي سبي في عهد نبوخذ نصر الملك البابلي نحو سنة ستماية وست قبل المسيح. وكان هذا الكشف الرباني لدانيال في عهد داريوس بن احشوروش من نسل الماديين في السنة الاولى من ملكه[١] اذ انتصب النبي يوماً للصلوة مستمداً من العزة الالهية العفو والغفران له ولشعبه والرضى على اورشليم والقدس ترآءى له جبرائيل الملاك ذاك الذي تخصص للبشرى بسر التجسد (على ما رأيت في بداية الفرع الثاني) وخاطبه هكذا: « يادانيال اني خرجت الآن لاعلمك فتفهم عند بدأة تضرعاتك خرجت الكلمة وأتيت أنا لاخبرك لانك رجل رغائب فتأمل الكلمة وافهم الرؤيا. ان سبعين اسبوعاً حددت على شعبك وعلى مدينة قدسك لافناء المعصية وازالة الخطيئة وتكفير الاثم والاتيان بالبر الأبدي واختتام الرؤيا والنبوّة ومسح قدوس القدوسين. فاعلم وافهم انه من صدور الامر باعادة بناء أورشليم الى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً فتعود تبنى السوق والسور في ضيق الاوقات. وبعد الاسابيع الاثنين والستين يقتل المسيح والشعب الذي ينكره لا يكون له. وشعب رئيس آت يدمر المدينة والقدس وكما بالطوفان يكون انقضاؤها والى انقضاء القتال يكون التخريب المقضي. وفي أسبوع واحد يبتّ لكثيرين عهداً ثابتاً وفي نصف الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة وفي جناح الهيكل تقوم رجاسة الخراب والى الفناء المقضي ينصبّ غضب الله على الخراب.[٢]

هذا نص الوحي السماوي والخطاب الرباني الذي خوطب به دانيال

---

(١) دا ١ : ١ (٢) دا ٩ : ٢٢ الخ

النبي بواسطة جبرائيل الملاك ولاجل استجلاء مفهوم هذا الاعلان النبوي ينبغي ملاحظة عدة أمور :(أولا) تاريخ صدور هذا الوحي (ثانياً) ماهي الغاية المقصودة منه . وماهي مشتملاته النبوية (ثالثاً) ماهو المراد من الاسابيع هـل هي أسابيع أيام أم سنين . (رابعاً) كيف ينطبق حسابها على التاريخ الواقعي

فأولاً ـ أما عن تاريخ صدور الوحي فهو كما سبق الذكر كان في عهد الملك داريوس بن احشوروش الذي تملك على مملكة الكلدانيين في أول سنة من ملكه وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي بنحو خمسمائة سبع وأربعين سنة

ثانياً ـ وأما الغاية المقصودة من هذا الوحي ومشتملاته فهي تعيين الزمن المحدد لمجيء المخلص قدوس القدوسين وقد جاءت مشتملاته النبوية مجملة ومفصلة .فبالاجمال تعيّن بها الزمن الذي قضي به من لدن العزة السرمدية لانجاز السياسة الالهية من جهـة شعب اليهود ومدينة قدسهم واتمام سر الخلاص الابدي وختم الرؤى والنبوات بالسيد المسيح المنتظر وهو عبارة عن سبعين أسبوعاً. وبالتفصيل فانه كشف بها عن غامض مستقبل هذه المدة. فأولاً كشف بها عن أنه لابدَّ من صدور أمر ملوكي ببناء أورشليم وذلك قبل تاريخ صدوره بسنوات عدّة اذ كان الوحي في عهد داريوس كما مرَّ والامر لم يصدر الا في عهد الملك ارتحششتا الذي تولّى الملك بعد تاريخ الوحي باربع وسبعين سنة، ثانياً قسمت فيها الاسابيع السبعين الى ثلاثة أجزاء مع تعيين مايتعلق بكل جزء منها من الوقائع. فالجزء الاول سبعة أسابيع وهي التي في خلالها تبنى المدينة وأسواقها وسورها في ظروف صعبة. والثاني اثنان وستون أسبوعاً وهي مدة بقاء اليهود مستمرين على شعائرهم

الناموسية. والثالث أسبوع واحد وفيه يكون تمام الفداء بموت المسيح وفيه يبت العهد الابدي وتبطل الذبيحة اليهودية بموت الفادي. ثم بعد ذلك ينفذ ماقضى به على اليهود ومدينتهم وهيكلهم من الانتقام الدائم

ثالثاً ـ وأما المراد بالاسابيع السبعين فليس المقصود منها أسابيع أيام بل أسابيع سنين وذلك بيّن من طبيعة الواقع أولاً لان المدة التي تلزم من صدور الامر الملوكي من بابل وبلوغه الى أورشليم وتعمير القصور والدور والاسواق والاسوار وغيرها مما يلزم لاستكمال المدينة وجمع شتات الشعب مع الصعوبات التي كانت محدقة بهم من الاعداء لا يمكن أن تكون سبعة أسابيع أيام أي تسعة وأربعين يوماً وهذا ظاهر بالبداهة. ثانياً لو كانت الاسابيع هي أسابيع أيام لكان يلزم من أن عمار المدينة وتوطن اليهود بعد السبي في مدينتهم واقامتهم شعائر الدين الى أن جاء القائد الذي دمّر المدينة وأخرب الهيكل خراباً قطعياً دائماً يكون قد وقع بعد صدور الامر الملوكي ببناء أورشليم بأربعمائة وتسعين يوماً التي هي مدة السبعين أسبوعاً. والواقع على خلاف ذلك، لان اليهود بعد ما عادوا من السبي وعمروا المدينة واستوطنوها استمروا اجيالاً مستطيلة تقلبت عليهم فيها أحكام مختلفة من الفرس ثم اسكندر المكدوني ثم خلفائه ثم المقابيين ثم هيرودس الذي ولد في عهده السيد المسيح ولم تخرب المدينة والقدس ويتشتت شمل اليهود الا بعد موت السيد وقيامته وصعوده بأعوام. فاذاً الاسابيع هي ولا شك أسابيع سنين. أما كيف يجوز أن يطلق الاسبوع على السنين فذلك محقق من قوله تعالى لموسى في طور سيناء هكذا: « مر بني اسرائيل وقل لهم اذا دخلتم الارض التي أنا معطيكم فلتسبت الارض سبتاً للرب ست سنين

تزرع حقلك وست سنين تقضب كرمك وتجمع غلالهما وفي السنة السابعة يكون للارض سبت عطلة سبت للرب . . . . واحسب لك سبعة سبوت من السنين سبع سنين سبع مرات فتكون لك أيام سبوت السنين السبعة تسعا وأربعين سنة »[١] ومن قوله أيضاً لحزقيال النبي : «وقد جعلت لك عدد سني اثمهم عدد أيام . . . فقد جعلت كل يوم بسنة».[٢] وبناء على ذلك تكون جملة السبعين أسبوعاً أربعمائة وتسعين سنة

رابعاً - وأما كيف ينطبق حسابها على واقع التاريخ فاعلم أن الوحي الرباني قد حدد بدأة معينة للاسابيع وهي من صدور الامر الملوكي ببناء أورشليم والاوامر الصادرة من ملوك بابل لصالح اليهود المسبيين أربعة: (الاول) من كورش باعادة بناء الهيكل لا المدينة[٣] (والثاني) من داريوس بتقرير مضمون الامر الاول[٤] (والثالث) من اتحششتا بالتفويض لكل من شاء من الشعب والكهنة الذين في مملكته بالعودة الى أورشليم مع عزرا[٥] (والرابع) منه أيضاً وهذا مخصوص بالتفويض باعادة بناء مدينة أورشليم وأسوارها والقصر الخ.[٦] فعلى مقتضى نص الوحي المقدس لا يكون اعتبار بدأة السبعين أسبوعا إلا من صدور هذا الامر الاخير المختص ببناء المدينة لا من خلافه. ومما تبين في سفر نحميا[٧] أن صدور الأمر المذكور كان في السنة العشرين من ملك ارتحششتا وكان ذلك قبل الميلاد المسيحي بأربعمائة ثلاث وخمسين سنة اذ قد كان تولى الملك سنة ٤٧٣ قبل الميلاد. وسيدنا له المجد وان يكن ولد في عهد أوغسطس قيصر الروماني اذ كان مضى على تأسيس

---

(١) لا ٢٥ : ١ - ٨ (٢) حز ٤ : ٥ و ٦ (٣) عز ١ و ٦ : ٣ (٤) عز ٦ : ٧
(٥) عز ٧ : ١١ الخ (٦) نح ٢ (٧) ٢ : ١

رومية سبعمائة اثنتان وخمسون سنة كما سبق الذكر في بدأة الفرع الثاني أعني بعد صدور امر ارتحششتا ببناء اورشليم باربعمائة ثلاث وخمسين سنة الا انه لم يظهر ذاته للعموم ويبتدئ بالدعوة الانجيلية الا لما اعتمد من يوحنا ابن زكريا في عهد طيباريوس قيصر في السنة الخامسة عشرة من ملكه حيث كان مضى على مولده الشريف من البتول نحو ثلاثين سنة [1]

وهذا التاريخ هو الذي ينبغي اعتباره لان نص الوحي الالهي هو هكذا: «فاعلم وافهم أنه من صدور الامر باعادة بناء اورشليم الى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً». فقوله الى المسيح الرئيس اي الى ظهوره لاسرائيل في عماده وقد كان عماده بعد مضي اربعمائة وثلاث وثمانين سنة من صدور امر ارتحششتا وهي جملة التسعة وستين اسبوعاً أي السبعة أسابيع الاولى والاثنين وستين اسبوعاً التي حددها الوحي. ثم انه في الاسبوع الاخير الذي هو تمام السبعين اسبوعاً قد كان اتمام تدبير سر الفداء الابدي. هذا مالاح لعجزي بيانه عن السبعين اسبوعاً اقتباساً مما حققه السادة المدققون. وبالاجمال أقول ان الحق جل وعلا عيّن سبعين اسبوعاً لتمام الرؤيا وختم النبوّة وكمال سر الخلاص الابدي بقدوس القدوسين وهي نحو من خمسة أجيال تبتدئ من عهد صدور الامر الملوكي وتنتهي بانجاز التدبير الالهي الخلاصي وحينما صدر الامر كان مضى على تأسيس رومية نحو ثلاثة أجيال وموت المخلص وقيامته وصعوده كان في أواخر الجيل الثامن لتأسيس رومية فتكون المدة المتوسطة نحو الخمسة أجيال وهي السبعون اسبوعاً التي حددها الوحي. وأقول أيضاً ان الوحي قد عيّن

---

(١) لو ٣ : ١ و ٢٣

المدة المقضي بها لكمال التدبير الالهي بالمسيح القدوس وحصرها بين حدين: (الاول) صدور الامر الملوكي ببناء اورشليم بعد خرابها ودمارها وقد حصل ذلك بالفعل . (والثاني) كون المدينة والقدس يخربان خراباً دائماً وذبايح اليهود ونقدماتهم تبطل قطعياً ويكون ذلك بعد ما يقتل المسيح وينكره الشعب اليهودي . ومن هذا التحديد الالهي يتعين ولا بد ان وقت مجيء المسيح لا يكون بعد خراب المدينة والهيكل وبطلان الذبايح والشعائر اليهودية قطعياً بل قبل ذلك أعني حال عمار المدينة باهلها وانتظام شأن الهيكل الاورشليمي بشعائره ورؤسائه وخدمته. والواقع يشهد بذلك على التمام فاذاً ما أعلنه الوحي بفم دانيال النبي عن مجيء المسيح قد تمّ ولا شك.

ثم انه ليس فقط الوحي الصادر لدانيال النبي عن مجيء المخلص يستلزم ان يكون مجيئه حال عمران الهيكل بناموسه وشعائره بل أيضاً قد صدر الوحي لانبياء آخرين محققاً ومصرحاً بذلك قال الله على لسان حجاي النبي : «لانه هكذا قال رب الجنود اني مرة بعد قليل أُزلزل السماء والارض والبحر واليبس وأُزلزل جميع الامم ويأتي متمنى جميع الامم فاملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود . . وسيكون مجد هذا البيت الاخير أعظم من الاول قال رب الجنود وفي هذا الموضع أُعطي السلام يقول رب الجنود » .[1]

فهذا النص الالهي يشير صريحاً بأن العزة الالهية قد قضت مرة بانهُ لا بد من ظهور من يتمناه جميع الامم بعجائب سماوية وآيات على الارض والبحر وباتيانه الى العالم يوعب الهيكل الاسرائيلي مجداً وفيه يمنح السلام للعالم وليس ذلك الاَّ المسيح المنتظر. وإيْ نعم قد تمجد هذا الهيكل بقدوم السيد

---

(١) حج ٢: ٧ و ٨ و ١٠

المسيح اليه مرّات اذ جاء اليه وهو طفل دفعات كما مر الذكر وعند ما أظهر ذاته للعموم تردد كثيراً اليه [١] . ومن كل ذلك تعلم جيداً كيف ان مجد الهيكل قد صار أعظم وأجل من الاول بقدوم ابن الله المتجسد اليه ورفع صوته الكريم بالارشاد والتعليم فيه واظهار آياته المعجزة به

وقال الله أيضاً على لسان ملاخي النبي منبئاً عن علامتين دالتين على مجيء السيد: (الاولى) تقدم نبي امامه يهيئ الطريق وهو يوحنا بن زكريا. (والثانية) كون السيد يأتي الى هيكله الاورشليمي هكذا: « هانذا مرسل ملاكي فيهيئ الطريق امامي وللوقت يأتي الى هيكله السيد الذي تلتمسونه وملاك العهد الذي ترتضون به ها انه آتٍ قال رب الجنود». [٢] فليت شعري لو كان لنا كري مجيء المسيح أثر من الصدق أو المناسبة وكان السيد المنتظر لم يأت بعد على زعمهم للزم على هذا القياس ان يكون الهيكل الاورشليمي الناموسي باقياً للآن عامراً مستوفياً شعائره اليهودية ولم يخرب من الاسس ولكان يوحنا بن زكريا لم يظهر للوجود بعد اذ كان مجيء المسيح مشروطاً بوجود هذين الامرين والواقع هو على خلاف ذلك اي ان الهيكل اليهودي تخرب وتلاشى من الوجود ويوحنا سبق ظهوره في العالم وانتقل شهيداً قديساً من نحو تسعة عشر جيلاً. فكما ان القول بعمران الهيكل بشعائره الناموسية وعدم خرابه وتدميره للآن والقول بعدم ظهور يوحنا بن زكريا للآن باطل بالبداهة اذ كان أمس الماضي لا يعاد. فالقول او الزعم بعدم مجيء السيد المسيح الحق الى العالم أشد بطلاناً

ثالثاً — قد عينت النصوص النبوية السبط الذي يأتي السيد من نسله

---

(١) لاحظ يو ٢ و٥ و٧ و٨ ومت ٢١ ومر ١١ ولو ١٩ الخ (٢) ملا ٣: ١

والبيت الذي يولد من ذريته ففضلاً عما أنبأ به الوحي بفم يعقوب اسرائيل كما مرَّ، قد قال الوحي الالهي أيضاً بفم المرتل هكذا: «قلت اني بتتُّ مع مختاري عهداً حلفت لداود عبدي لاثبتن نسلك إلى الابد ولابنين عرشك الى جيل فجيل»[١] وقال بفم اشعيا النبي: «لنمو الرئاسة ولسلام لا انقضاء له على عرش داود ومملكته ليقرها ويوطدها بالانصاف والعدل من الآن الى الابد ان غيرة رب الجنود تصنع هذا»[٢]. وقال بفمه أيضاً: «ويخرج قضيب من جذر يسى وينمي فرع من اصوله ويستقر عليه روح الرب وروح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح العلم وتقوى الرب»[٣] وقال فيه: «وفي ذلك اليوم ان أصل يسى القائم راية» للشعوب اياه تترجى الامم ويكون مثواه مجيداً[٤] وقال بفم ارميا النبي: «ها انها ستأتي أيام يقول الرب أقيم فيها لداود نبتاً صديقاً ويملك ملك يكون حكيماً ويجري الحكم والعدل في الارض»[٥] وقال بفمه ايضاً: «في تلك الايام وذلك الزمان أنبت لداود نبتاً صديقاً فيجري الحكم والعدل في الارض في تلك الايام يخلص يهوذا وتسكن اورشليم في الدعة وهذا ما تدعى به الرب برنا لانه هكذا قال الرب لا ينقطع لداود رجل يجلس على عرش آل اسرائيل»[٦]

وحقاً لقد تمَّ ما قضت به الحكمة الازلية بمجيء كلمة الله المتجسد المولود من مريم بنت داود النبي من سبط يهوذا ذلك الذي امتدَّ ملكه في العالم لا ملكاً زمنياً زائلاً بل روحياً دائماً الى الأبد. وها قد سمعت صوت البشرى الذي نادى به جبرائيل الملاك مخاطباً للسيدة مريم: «وهذا

---

(١) مز ٨٨ : ٤ و٥ (٢) أش ٩:٧ (٣) اش ١١:١ و٢ (٤) ع ١٠
(٥) ار ٢٣:٥ (٦) ار ٣٣ : ١٥ — ١٧

سيكون عظيماً وابن العلي يدعى وسيعطيه الرب الاله عرش داود أبيه الخ»[١]

رابعاً ـ شهدت النصوص المقدسة بأنه يولد من عذراء منزهة عن سبيل الزواج وانها تبقى بتولاً بعد مولده وهاك نص الوحي الالهي بفم أشعيا: «فلذلك يؤتيكم السيد نفسه آية ها أن العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل»[٢] وقد أشار الى ذلك النص الانجيلي مفسراً معنى عمانوئيل بأنه: «الله معنا»[٣] وحزقيال النبي رأى في رؤياه بابا نحو المشرق وكان مغلقاً وعنه يقول بالوحي: «فقال لي الرب ان هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح ولا يدخل منه رجل لان الرب اله اسرائيل قد دخل منه فيكون مغلقاً»[٤] فهذه الرؤيا السماوية تشير بالرمز الى دوام بتولية السيدة والدة الإله. فتبارك مبدع الآيات وحده. ليت شعري لو لم تلده امه وهي عذراء وتستمر بعد الميلاد بتولاً فأنّى تكون الآية المعجزة التي وعد الله بها بفم اشعيا؟ بالحقيقة ان الآية العظمى التي صنعها العلي نفسه هي ان العذراء حملت وهي بتول وولدت وهي بتول

خامساً ـ عينت النصوص المقدسة المكان الذي يولد فيه المخلص قال الوحي: «وأنت يا بيت لحم افراتة انك صغيرة في الوف يهوذا ولكن منك يخرج لي من يكون متسلطاً على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل»[٥]. فالوحي الالهي هنا اعلن عن مولده بالجسد في مدينة بيت لحم وعن انه ازلي مولود من الآب قبل كل الدهور.

وقد علمت مما مرّ بك في النبذة الثانية من الفرع الثاني ان الحكمة اقتضت

---

(١) لو ١: ٣٢ و٣٣ (٢) اش ٧: ١٠ (٣) مت ١: ٢٢ و٢٣ (٤) حز ٤٤: ١ و٢
(٥) مي ٥: ٢

ذهاب السيدة العذراء مع يوسف البار الى بيت لحم وهناك ولدت وحيدها إنجازا للنبأ الالهي. وقد حقق رؤساء كهنة اليهود وكتبتهم لهيرودس الملك اذ سألهم عن محل مولد المسيح، بانه يولد في بيت لحم مستشهدين بهذه الآية النبوية [١] (وستري بيان ذلك في النبذة الثالثة هنا)

وعينت النصوص أيضاً المكان الذي يزوره وهو طفل وهي مصر [٢]

(اخيراً) ـ ان الوحي الالهي فضلاً عما اوردته مما يصرح بازلية السيد قد اعلن ايضاً مكرراً عن ان الذي سيولد من العذراء على الارض بالجسد هو مولود من الله ازلياً وهو ملك الملوك الابدي. فمن ذلك ما قاله الوحي بفم النبي المرتل هكذا: «اني مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي لاخبرن بحكم الرب: قال لي انت ابني. انا اليوم ولدتك» [٣]. وقال فيه ايضاً محرضاً للملوك والقضاة على عبادة الرب واحترام الابن هكذا: «اعبدوا الرب بخشية وابتهجوا برعدة قبلوا الابن لئلا يغضب فتهلكوا من الطريق لانه عن قليل يضطرم غضبه فطوبى لجميع المعتصمين به» [٤]

ولقد خطب الرسول السعيد بولس مرة في انطاكية بسيدية في مجمع اليهود يوم سبت خطبة بليغة وفيها حقق للجمهور أن ماورد بالمزمور الثاني خاص بالمسيح وهاك ما قاله عن ذلك: «ونحن نبشركم بالموعد الذي كان لآبائنا. ان الله قد أتمه لبنينا اذ اقام يسوع كما كتب في المزمور الثاني أنت ابني أنا اليوم ولدتك». [٥]

---

(١) لاحظ مت ٢ : ١ — ٦ (٢) اش ١٥ : ١ وهوشع ١١ : ١ (٣) مز ٢: ١١ و١٢ (٤) مز ٢ : ٦ و٧ (٥) اع ١٣ : ٣٢ و٣٣

وقال الوحي أيضاً على فم المرتل العظيم هكذا: «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك الخ». (١) والسيد المسيح نفسه قد أقام الحجة على اليهود مثبتاً لهم الهيته وسيادته على داود النبي بهذه الآية وذلك انه فيما كان الفريسيون مجتمعين قبل آلامه سألهم قائلاً: «ماذا تظنون في المسيح ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. فقال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح ربه حيث يقول: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك. فان كان داود يدعوه رباً فكيف يكون هو ابنه فلم يستطع احد ان يجيبه بكلمة ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله البتة» (٢)

فوأن يكن السيد من حيثية الجسد ابن داود ولا شك، الا أنه تعالى من حيثية لاهوته اله داود وربه كما نطق الوحي الرباني على فم داود نفسه.

وقال الوحي أيضاً بفم أشعيا النبي هكذا: «لانه قد ولد لنا ولد أعطي لنا ابن فصارت الرئاسة على كتفه ودعي اسمه عجيباً مشيراً الهاً جباراً أبا الابد رئيس السلام». (٣)

فاعجب به من تصريح جليّ يهتف بصوت الوحي مناديا بمولد الابن المتجسد على الارض حالة كونه الهاً جباراً أبا الابدية مولى السلام

وفي ماذكرت في هذه النبذة مما نطق به الوحي الالهي على أفواه السادة الانبياء الابرار عن ظهور سيدنا وتعيين نسب والدته وبتوليتها وزمن مولده وعلاماته ومحل مولده وشرفه وأزليته وقدرته الكفاية

---

(١) مز ١٠٩ : ١ — ٣. (٢) مت ٢٢ : ٤٢ الخ (٣) اش ٩ : ٦

(النبذة الثانية)

« في الشهادات الصادرة في بدأة زمن تجسده »

اولاً ـ بشر بسر تأنسه وسموّ شأنه روح سماوي جبرائيل المعظم في ملائكة الله (وقد رأيت تاريخ بشراه بذلك للسيدة العذراء على ما نصه الانجيل المقدس مامرّ بك بالنبذة الاولى بالفرع الثاني). وقبلما ان يتعين جبرائيل للبشرى بسر التجسد تعين أولاً بالامر الالهي ليبشر زكريا الكاهن الشيخ بان زوجته اليصابات ستلد له ابناً ويسميه يوحنا. والسر في أن البشرى بيوحنا كانت قريبة لزمن التجسد وكان الملاك المبشر به هو عين بشير التجسد هو كون الحكمة الازلية عينت ان يكون يوحنا هذا بشيراً ورسولاً امام السيد المسيح الذي هو رب اسرائيل والهه ولذلك قال المبشر لزكريا عن يوحنا هكذا: «لانه يكون عظيماً امام الرب ولا يشرب خمراً ولا مسكراً ويمتلئ من الروح القدس وهو في بطن أمه ويرد كثيرين من بني اسرائيل الى الرب الههم وهو يتقدم امامه بروح ايليا وقوّته ليرد قلوب الاباء الى الابناء الخ»[1]. ولما كان سر التجسد عجباً فريداً بل انه اعجب العجائب، دبرت الحكمة ان يكون الحبل برسول المتجسد اعني يوحنا من العجائب أيضاً. اذ كان والده قد شاخ وامه طعنت في ايامها وصارت عاقراً والحبل به على هذه الحالة من الخوارق ولذلك استعظم أبوه الامر جداً عند ما بشّر به حتى ان الملاك أعلن له بانه بالنظر لعدم تصديقه بشراه سيكون صامتاً حتى يولد له الصبي وقد حصل فعلاً[2]. وقد رأيت في النبذة الاولى في هذا الفرع ما أشار اليه الوحي بفم ملاخي النبي وقد قال فيه ايضاً: «هانذا

---

(١) لو ١ : ١٥ ـ ١٧ (٢) لو ١: ١٨ — ٢٠ و ٦٤

أرسل اليكم ايليا النبي قبل ان يجيء يوم الرب العظيم الرهيب فيرد قلوب الآباء الى البنين وقلوب البنين الى آبائهم » .[١]

وجبرائيل الملاك في بشراه لزكريا قد نبهه على هذا النص النبوي بما أورده اليه في خطابه عن يوحنا من مضمون هذه العبارة (كما ترى صريحاً) وقد كان أمر ارسالية يوحنا على هذه الصفة أي بتقدم الوحي الالهي عنه من السابق والبشرى الملائكية بالحبل به على تلك الصورة وبالاختصاصات التي خص بها من جملة الشهادات عن مجد الوحيد المولود من مريم (وسترى ان شاء الله في الخاتمة ذكر بعض ما يتعلق بيوحنا مع السيد عند عماده في الاردن)

ثانياً ـ قد رأيت في النبذة الاولى من الفرع الثاني كيف أن السيدة العذراء لما زارت بيت زكريا الكاهن وسلمت على اليصابات امتلأت هذه من نعمة الروح وتنبأت مقرة لمريم بالتعظيم ومعترفة بانها أمّ الرب الكريم المستحقة اكراماً لسمو شأن وحيدها غاية التطويب ونهاية التفخيم. وهذه الشهادة في حق السيد ووالدته هي من أعظم الشهادات لكونها لم تكن بشرية أي عن مجرد عواطف اليصابات الشخصية بل الهية أي عن الهام الروح الكلي قدسه

ثالثاً ـ وزكريا أبو يوحنا اعترف أيضاً بمجد السيد وذلك أنه في ثامن يوم لمولد ابنه اذ كان لم يزل صامتاً لا يستطيع النطق كما انبأه جبرائيل وطلب منه تسمية الطفل واستدعى بلوح ورقم عليه قائلاً : «اسمه يوحنا» . ففي الحال أنطلق لسانه وبارك الله ثم أوعب من نعمة الروح القدس وجعل

---

(٢) ملا ٤ : ٥ و٦

يتنبأ ومن جملة خطابه النبوي للطفل ولده قال: «وأنت أيها الصبي نبي العلي تدعى لانك تسبق امام وجه الرب لتعدّ طرقه وتعطي شعبه علم الخلاص لمغفرة خطاياهم بأحشاء رحمة الهنا الذي افتقدنا بها مشرقاً من العلاء الخ »[1]

وما كان الغرض من هـذه النبوة سوى أن يوحنا يتقدم بصفة نبي ورسول أمام السيد المسيح الذي هو الرب بالحقيقة وأنه يرشد الشعب الى علم الخلاص الابدي الذي أعدته المراحم الالهية باشراق ضياء الابن الازلي متجسداً وهذه الشهادة هي عظمى أيضاً لكونها الهية أي بالهام الروح القدس

﴿ النبذة الثالثة ﴾

« فيما صدر من الشهادات بعد مولد الوحيد »

أولاً ـ ان ماحدث ليلة مولده من تجلي ملاك الرب لرعاة بيت لحم واشراق المجد الالهي حولهم وتبشير المـلاك لهم بمولد المخلص الذي هو المسيح الرب وظهور الجند الملائكية مع ذاك الملاك واتفاق أصواتهم في نشيد التسبيح والتمجيد للعزة الالهية الى غير ذلك (مما رأيت في النبذة الثانية من الفرع الثاني عن المولد المجيد على مقتضى النص الانجيلي) هو أيضاً من الشهادات العظمى الالهية الدالة على مجد الوحيد بل مما تفرد به مولده السامي اذ لم يقع ولن يقع في مولد شخص آخر من الآيات الباهرة والاحترامات الفائقة مثل ما حصل في مولده اذ كانت الملائكة مبشرة وأنوار العلاء ساطعة والتسابيح الملائكية مطربة كل ذلك اكراماً لذلك الطفل العجيب المولود من العذراء

---

(١) لو ١ : ٥٩ الخ

ثانياً ـ قد علمت أيضاً بالاجمال انه لما صار للسيد الطفل أربعون يوماً جيء به الى الهيكل الاورشليمي لايفاء الشعائر الناموسية ولبيان ماحدث هناك من الشهادات الروحية المبرهنة عن سمو شأن هذا الطفل. أقول انه كان موجوداً حينذاك شيخ كاهن بار يدعى سمعان كان منتظراً قدوم المسيح وكان قد أوحي اليه من الروح القدس بأن لا يذوق الموت حتى يعاين بنفسه مسيح الرب. فلما جاء الطفل مع السيدة والدته ويوسف البار الى الهيكل ألهم سمعان الشيخ من الروح القدس واقبل الى هناك ثم تقدم وحمل السيد على ذراعيه وبارك الله وقال مخاطباً للطفل : الآن تطلق عبدك أيها الرب على حسب قولك بسلام فان عينيَّ قد أبصرتا خلاصك الذي اعددته امام وجوه الشعوب كلها نوراً ينجلي للامم ومجداً لشعبك اسرائيل. ثم انه بارك السيدة ويوسف وقال للسيدة خاصة متنبئاً عن وحيدها بانه يكون لسقوط وقيام كثيرين في اسرائيل اي ان من لا يؤمن به يهلك هلاكاً أبدياً ومن آمن به تكون له الحياة السعيدة الخالدة ثم انبأها عما سيحل في نفسها من سيف الحزن على آلامه وصلبه وموته [1] فخطاب هذا البار الملهم من الروح القدس ليسوع الطفل على هذه الصفة شهادة الهية وبرهان مقدس على انه وان يكن تجسد وصار طفلاً ويحمل بالجسد على الاذرع الا انه بالحقيقة الرب القادر الذي بيده نسمة كل حي الذي بارادته وحكمته استمرَّ ذاك الشيخ المسن جدًّا في حياة الدنيا وبأمره ينصرف من العالم فرحاً متهللاً اذ عاين بذاته مجد الوحيد المخلص

وكانت ايضاً امرأة نبية تدعى حنة بنت فنوئيل من سبط أشير متقدمة

---

(١) لو ٢ : ٢٢ — ٣٥

في السن مترملة بعد زوجها الوحيد من نحو أربع وثمانين سنة ملازمة الهيكل مثابرة على العبادة بالصوم والصلاة ليلاً ونهاراً ففي حالة وجود السيد الطفل في الهيكل كما يشهد النص الانجيلي هكذا: «حضرت تعترف للرب وتحدث عنه كل من كان ينتظر فداء اسرائيل»[1]

ثالثاً — قد ألمعت في النبذة الثالثة من الفرع الثاني أنه بعد مولد السيد

المجوس والنجم

في بيت لحم وانصرافه مع السيدة ويوسف الى الناصرة بعد اتمام الرسوم الناموسية في الهيكل ثم جيء به معهما الى بيت لحم حيث كان مولده. فهناك أقبل المجوس من المشرق بارشاد نجم سماوي وقدموا له خضوعهم وهداياهم وتفصيل ذلك على ما نص بالانجيل الشريف قال: «ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك اذا مجوس قد أقبلوا من المشرق الى أورشليم قائلين: أين المولود ملك اليهود فانا رأينا نجمه في المشرق فوافينا لنسجد له. فلما سمع هيرودس الملك اضطرب هو وكل أورشليم معه وجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب واستخبرهم أين يولد المسيح. فقالوا له: في بيت لحم اليهودية لانه هكذا كتب بالنبي وأنت يا بيت لحم أرض

(١) لو ٢: ٣٦ — ٣٨

يهوذا لست الصغيرة في رؤساء يهوذا لانه منك يخرج المدبر الذي يرعى شعبي اسرائيل حينئذ دعا هيرودس المجوس سرًّا وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر ثم أرسلهم الى بيت لحم قائلاً: اذهبوا وابحثوا عن الصبي متحققين واذا وجدتموه فاخبروني لكي أذهب أنا أيضاً وأسجد له. فلما سمعوا هذا من الملك ذهبوا فاذا النجم الذي كانوا رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق الموضع الذي كان فيه الصبي فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً وأتوا الى البيت فوجدوا الصبي مع مريم أمه فخروا ساجدين له وفتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من ذهب ولبان ومرّ ثم أوحي اليهم في الحلم أن لا يرجعوا الى هيرودس فرجعوا في طريق أخرى الى بلادهم»[1] وقد كانت الحكمة في ان تكون الهدية التي قدمها أولئك الحكماء على هذه الصفة لاسرار بليغة اذ قد يشار بهدية الذهب الى انه ملك تخضع له العوالم بهداياها. وبهدية اللبان الى انه اله محتجب بالجسد له تحق العبادة من الآنام. وبهدية المرّ الى كونه سيتألم على الصليب لخلاص العالم. ولعمري ان المجوس لم يكونوا اتخذوا هذه الهدية على هذه الصفة بمجرد استحسان أفكارهم لو لم يكونوا ألهموا بذلك الهاماً الهياً خفياً لان الذي أظهر لهم ذلك النجم البديع الفائق العادة وأوحي اليهم بأنه دليل على مولد ملك اسرائيل في أرض اليهودية وقد كان عجيباً بهذا المقدار اذ كان يسير في الجو قريباً منهم دليلاً ومرشداً للسير ويقف بهم في محل اللزوم. وما كان في حالته تلك خاضعاً لاحكام النجوم الاعتيادية بل خاضعاً لمن أوجده بهذه الصفة كأنه كاروز ينطق بلسان حاله عن مولد الوحيد: هو تعالى الذي ألهم أولئك المجوس أيضاً بأن يتخذوا الهدية المولود على هذه الصفة العجيبة.

---

(١) مت ٢ : ٢ — ١٢

الخاتمة

قد تبين في الفرع الاول من هذه التهنئة عمن هو المولود من السيدة مريم وفي الثاني عن تاريخ مولده وفي الثالث عن الشهادات الدّالة على سمو شأنه. على ان ما أوردته من البيانات والشهادات لم تكن هي غاية البراهين الشاهدة على مجد مولانا المتجسد بل انما أوردت ما أوردته ملاحظاً حصر كلامي على مولده لان النبوات الموحى بها من قبل الله عن تجسد وحيده قبل زمن مجيئه بالجسد للعالم لم تكن قاصرة على ما ذكرته هنا، بل شهدت ايضاً باسهاب وصراحة على ما كان عتيداً ان يظهره بشخصه الالهي بعد تجسده من الاعمال المعجزة المدهشة والتعاليم والحكم البليغة التي ينشرها في العالم وعلى ما سيتممه من التدبير ويكمله من سرّ الفداء بقبوله الآلام والصلب والموت بالجسد وقيامته بقدرته وارتقائه الى أعالي السموات وامتداد ملكه أعني دعوته الفضلى الانجيلية.

وكذلك نفس الاعمال الباهرة التي صدرت منه فعلياً وارشاده الالهي وحكمه الرفيعة وشهادة الله الآب له من السماء وحلول الروح المعزي واعتراف الملائكة وخدمتهم له وشهادات يوحنا المعمدان له وبدائع تاريخ حياته على الارض ولا سيما قيامته من بين الاموات بقدرته العلية وصعوده بقوّته جهراً الى أعالي العلا وامناحه رسله نعم الروح القدس المعزي وتأييدهم بالقوى والمعجزات باسمه. كل ذلك براهين شاهدة بأن المولود من مريم العذراء جسدياً هو الكلمة الازلي الوحيد ديان العالمين.

هذا ولما ان شأنه رفيع بهذا المقدار ودعوته حقة ومواعيده صادقة

قد كانت نتيجة ذلك بأن خشع العالم لصوت انجيله لا بوسائل دنيوية البتة اي لا بترهيبات قاصرة ولا بترغيبات خادعة ولا بتحيلات مضلة لا ولا بحكم بشرية بل بوسائط علوية محضة وحكم الهية رفيعة أنجزها بقدرته على ايدي رسله الاتقياء الابرار وتلاميذه الانقياء الاخيار أولئك الذين لم تكن قوتهم دنيوية ولا حكمتهم عالمية ولا غناهم ارضياً بل كانوا اقوياء بالروح حكماء سماويين اغنياء بنعمة الله . ولذلك جاهروا وافصحوا عن كرازتهم وحالتهم. فقال احدهم معلم الامم : «ولم يكن كلامي ولا كرازتي بكلام بليغ من حكمة بشرية بل بابداء الروح والقوة لكي لا يكون ايمانكم عن حكمة الناس بل عن قوة الله . غير اننا ننطق بالحكمة بين الكاملين لا بحكمة هذا الدهر ورؤساء هذا الدهر الذين يعدمون بل ننطق بحكمة الله في السر بالحكمة المكتومة التي سبق الله فحددها قبل الدهور لمجدنا . . . ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف ما انعم الله علينا به من العطايا».[1] وفيما يصف حالته مع اقرانه الرسل بذكر ما كانوا فيه من الصعوبات والمشقات العالمية من جهة، وما كانوا عليه من الاختصاصات العلوية والتصرفات الزكية من جهة اخرى- قال : ولسنا نأتي بمعثرة في شيء لئلا يلحق خدمتنا عيب . بل نظهر في في كل شيءٍ انفسنا كخدام الله في الصبر الكثير والمضايق والضرورات والمشقات . والجلدات والسجون والاضطرابات والاتعاب والاسهار والاصوام والطهارة والعلم والاناة والرفق والروح القدس والمحبة بلا رياء . وكلمة الحق وقوة الله باسلحة البرّ عن اليمين وعن اليسار بالمجد والهوان

---

(١) ١ كو ٢ : ٤ — ٧ و ١٢

بسوء الصيت وحسنه كأنا مضلون ونحن صادقون كأنا مجهولون ونحن معروفون كأنا مائتون وها نحن احياء كأنا مؤدبون ولا نقتل كأنا حزان ونحن دائماً فرحون كأنا فقراء ونحن نغني كثيرين كأنا لا شيء لنا ونحن نملك كل شيءٍ» .[١] وفيما يصف السلطة الرسولية وافاعيل اختصاصاتها العجيبة قال :«فانا وان كنا نسلك في الجسد لا نحارب بحسب الجسد لان اسلحة حربنا ليست بجسدية بل هي قادرة بالله على هدم الحصون فنهدم الآراء وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ونسبي كل بصيرة الى طاعة المسيح» .[٢] وحقاً لقد اخذت الدعوى المسيحية في الانتشار والامتداد والثبات بواسطة اولئك الامناء الابرار منذ قلدهم مولاهم سلطان الرسالة الى جميع العالم ولم تزل ولن تزال المسيحية ثابتة زاهرة في اقطار الارض مهما تقلبت الاحوال ومهما كانت الظروف .ففي كل قطر ووادٍ يسجد ليسوع ابن مريم ويمجد ويعبد .والى الآن وغد ترى محافل المسيحيين باقاليم مختلفة ولغات متعددة وممالك وشعوب وامم متنوعة ترفع نغمات التسبيح مع الملائكة المبشرين بالميلاد السعيد هاتفة :« المجد لله في العلا وعلى الارض السلام وفي الناس المسرّة » .لا بل ان ملوكاً وامراء ووزراء وولاة وقوّاداً واحباراً وعلماء وحكماء وجنوداً واغنياء وفقراء من جميع ممالك العالم المتمدن وغيرهم يهرعون في كل زمان الى زيارة مهد مولد الحبيب في مدينة بيت لحم اليهودية وهناك يخرّون سجداً لعظمة من شرف ذاك المقام بمولده مقدّمين هداياهم وخضوعهم تعظيماً واجلالاً له لا فقط لباناً وذهباً بل وعواطف الخشوع الفؤادية وضحايا الشكر والحمد والتمجيد .

---

(١) ٢كو ٦ : ٣ ـ ١٠ (٢) ٢كو ١٠ : ٣ — ٥

لطافة[١]

هذا وحيثما ان سرور المسيحيين تضاعف بعيد الظهور السعيد الذي أقبل متلألئاً بدره تالياً عيد المولد المجيد لاح لي في تهنئتي هذه ان اضاعف التهنئة لحضراتهم قاطبة على سرورهم بسر الظهور الإلهي المنيف لتكون التهاني مستكملة النظام مجملة بالحسن في البداية والختام. ومع ملاحظتي الاختصار في هذا المقام أقول: قد علمت (مما مر بك في العدد الاول من النبذة الثانية من الفرع الثالث) ان الحكمة الازلية قضت من السابق ان يتقدم أمام السيد المسيح كلمة الله لدى ظهوره بالجسد للعالم نبي ورسول شريف الحسب والنسب. ولذلك سبق الوحي الإلهي على أفواه الانبياء من قبل زمن التجسد بأجيال فأنبأ عن الشخص الذي كان مزمعاً ظهوره بصفة رسول أمام السيد المنتظر مسمياً اياه الوحي ملاكاً للرب يهيئ السبيل أمامه وكاليليا النبي يردّ قلوب الاباء الى البنين. وما عدا ذلك فقد قال الوحي أيضاً بفم أشعيا النبي العظيم هكذا: «صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب وأجعلوا سبيل الهنا في الصحراء قويمة. كل وادٍ يمتلئ وكل جبل وتل ينخفض والمعوج يتقوم ووعر الطريق يصير سهلاً ويتجلى مجد الرب ويعاينه كل ذي جسدٍ لان فم الرب تكلم».[٢]

ولقد كان تعيين هذا الرسول الجليل أمام السيد المسيح من جملة الحكم البليغة ليكون من ضمن العلامات المقررة الخاصة بقدومه له المجد

وقد علمت أيضاً ان الحكمة الإلهية قد اصطفت يوحنا نجل زكريا واليصابات الشريفي النسب والحسب أن يكون هو الرسول المشار اليه

---

(١) هذه خطبة لعيد الظهور المعروف بالغطاس والدنح (٢) أش ٤٠ : ٣ — ٥

لا سواه ولذلك لما تعين جبرائيل الملاك ليبشر زكريا بمولد يوحنا بيّن له اختصاصاته وما سيكون عليه من الصفات الحميدة واصفاً اياه بنفس الصفات التي عينها الروح القدس بفم ملاخي النبي عن الشخص المزمع تقدمه أمام الرب منبهاً للشيخ على ان ولده هو المشار اليه بذلك الوحي (١) ولقد حمل به بطريقة تفوق العادة نظراً لشيخوخة والده وعقورية أمه، وقد رأيت أيضاً كيف ان زكريا ذاته لما ولد له يوحنا وحرر اسمه بيده ثامن يوم مولده وأوعب حينئذٍ من الروح القدس تنبأ عن الطفل بأنه يكون نبي العلي وانه يسبق أمام وجهه كرسول يهيئ السبيل. اذا فهم ذلك أقول: ان يوحنا بعد مولده وتدرجه في القامة والنعمة انعكف منفرداً في البرارى كما يشهد الانجيل: «وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح وكان في البرارى الى يوم ظهوره لاسرائيل». (٢) وقد كان وجوده في البرارى متباعداً عن الناس هكذا بتقدير الحكمة الربانية أيضاً (لما ستراه فيما بعد) واذ بلغ متوسط السنة الحادية والثلاثين من عمره ألهم من الله بالظهور لبني اسرائيل والاتيان الى ساحل الاردن ليعمد الجمهور. قال الانجيل: «في السنة الخامسة عشرة من ملك طيباريوس قيصر حين كان بيلاطس البنطي والياً على اليهودية . . . . وحنان وقيافا رئيس الكهنة كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية، فجاء الى بقعة الاردن كلها يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا». (٣) وكان يخرج اليه أهل أورشليم وكل اليهودية وجميع بقعة الاردن فيعتمدون منه في الاردن معترفين بخطاياهم ولما رأى الفريسيين وغيرهم ممن أتوا اليه كان يوبخهم على خطاياهم ويحرضهم على التوبة وكان

---

(١) ملا ٣ : ١ و ٤ : ٥ و ٦ مع لو ١ : ١٦ و ١٧ (٢) لو ١ : ٨٠ (٣) لو ٣ : ١ — ٣

يوعظ الجموع ويرشد من يسأله عن حسن السلوك واستقامة السيرة »[١]
واذ كان الشعب الاسرائيلي وقتئذٍ منتظراً مجيء المسيح فكان الجمهور (كما
يقول الانجيل) : « يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله هو المسيح أجابهم
يوحنا أجمعين قائلاً : انا أعمدكم بالماء. ولكن يأتي من هو أقوى مني وأنا
لا أستحق ان أحل سيور حذائه وهو يعمدكم بالروح القدس والنار الذي
بيده المذرى ينقي بيدره ويجمع القمح الى اهرائه ويحرق التبن بنار لا تطفأ »[٢]
ثم ان اليهود عينوا له من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه عن حقيقة أمره
فاعلن لهم بأنه ليس المسيح. ولما كرروا عليه السؤال قائلين : فمن أنت لنرد
الجواب على الذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن نفسك؟ فقال: أنا صوت صارخ
في البرية قوموا طريق الرب كما قال أشعيا النبي.[٣] فوأن يكن يوحنا تربى
في القفر ولم يعاشر أحداً ولم يتخرج في مدرسة الا إن الروح القدس الذي
أوعبه من نعمه وهو في بطن أمه واصطفاه لان يكون رسولا وبشيراً
أمام الابن الوحيد قد أرشده الى كونه الصوت الهاتف أمام المنتظر وهو
هو نفسه المشار اليه بالوحي على فم اشعيا النبي. ومن الحكم الدقيقة انه دعي
ملاكاً وصوتاً هاتفاً وذلك لمناسبة انه تعين بشيراً للشعب ودليلاً لهم على
معرفة السيد المسيح فدعي ملاكاً دلالة على عظمة سيده الذي يبشر به
ودعي صوتاً هاتفاً بالروحيات لكونه دليلاً على الكلمة الازلي المتجسد
كما ان الصوت الانساني المسموع المفهوم دليل بيّنٌ على الكلمة الغريزية
المكنونة في العقل ،

---

(١) مت ٣ : ٥ — ١٠ ولو ٣ : ٧ — ١٤ (٢) لو ٣ : ١٥ — ١٧
(٣) يو ١ : ١٩ — ٢٣

فيوحنا هذا الشريف النسب والحسب الذي أماط القناع عن أذهان الجماهير الاسرائيلية المتقاطرة اليه لاستماع وعظه والاعتماد منه في مجاري الاردنّ محققاً لهم صفة منزلته المعينة من الله بكونه رسولاً امام السيد المنتظر مبيناً لهم غايات مفعول معموديته بأنها لاستعداد التوبة ليس الا . معلناً لهم صراحة وتكراراً عن سمو منزلة السيد المرتجى ، ذاك الذي له القدرة ان يعمد الجميع بالروح القدس والنار ، ذاك الذي بسلطانه يدين الكل ويخلد الصالحين في نعيم ملكوته والطالحين في عذاب جهنم بعدله الالهي . الى هذا الرسول المعمدان اقبل مخاص الكل لانجاز ما حددته حكمته لاظهار مجده امام الشعب الاسرائيلي ليكون من لا يؤمن به فيما بعد بلا حجة ولا عذر . والعجيب ان يوحنا مع كونه لم يعاشر السيد ولم يعاين شخصه من ذي قبل ، ففيما انوجد في وسط الجمهور المتجمع حذاء الاردن اشعر به يوحنا وقال بالالهام جواباً لمن سأله عن اسباب تعميده ما دام انه ليس المسيح : «انا أعمدكم بالماء ولكن بينكم من لستم تعرفونه هو الذي يأتي بعدي وقد جعل قبلي الذي انا لا استحق ان احل سير حذائه » .[1] وفي الغد اذ وافى مقبلاً اليه ورآه بعينه رفع صوته هاتفاً : « هوذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم هذا هو الذي قلت عنه انه يأتي بعدي رجل قد جعل قبلي لانه اقدم مني وانا لم اكن اعرفه لكن لكي يظهر لاسرائيل جئت انا أعمد بالماء» .[2]

فالمعمدان قد حقق بهذه الشهادات الزكية القدسية سمو مقام السيد ووضاعة منزلته بالنسبة لذاك المولى ذي الشأن الرفيع الذي هو الحمل

---

(١) يو ١ : ٢٥ — ٢٧ (٢) يو١: ٢٩ و٣٠

الالهي اي الفادي الوحيد القادر على رفع خطايا العالم . وانه وان يكن في مولده الجسدي جاء بعده بأشهر وهو منظور للانام انساناً حقيقياً الا انه اقدم منه بلاهوته وانه وان لم يكن يشاهده من قبل لكن تعيينه للعماد انما كان لكي يبشر به لاسرائيل ويعلن أمره للجمهور .

فلما دنى السيد من يوحنا وطلب ان يعتمد منه امتنع ذاك البارّ من ذلك مع انه كان يعمد كل من وافاه ويوعظ من أتاه ويوبخ الخاطيء على خطاياه بلا خوف ولا استثناء مهما كانت منزلة الآتين اليه وقال متذللاً للسيد : «أنا المحتاج ان اعتمد منك وأنت تأتي اليّ .فأجابه يسوع قائلاً دع الآن فهكذا ينبغي لنا أن نتمم كل برّ »[1] فكأنه يقول له :إي نعم ،انك انت المحتاج لنعمة التقديس من قبلي ولقد قدستك وبررتك بنعمة روحي وانت في الحشا وعينتك الآن للتعميد وللبشرى بي لاسرائيل فامتثل لارادتي ولا تمتنع عن تعميدي لاني وان كنت في الحقيقة غنياً عن معموديتك منزهاً عن كل حاجة الا ان النوع الانساني في اشدّ الافتقار الى مواهبي التي تنازلت وتجسدت لاسديها عليه وستنظر الآن مايتم باعتمادي منك في الاردنّ من الحكم الباذخة والاسرار البديعة . فمن جهة ترى الروح القدس يحل عليّ مبرهناً على اني الوحيد المشار اليه وتسمع صوت الآب الازلي شاهداً لي بالبنوة الوحيدة ومن جهة أخرى فانه سيتضح للجمهور اني انا المنتظر مخلص العالم وينجلي للمتبصرين سر تثليث الاقانيم الالهية ويتأسس للمؤمنين باسمي سر العماد الذي سأمنحهم اياه للخلاص . فدع امتناعك الآن لانه يحق لنا ان نتمم كل البر الذي قد عجزت عنه قوى المخلوقين . واذ

---

(١) مت ٣ : ١٣ — ١٥

امتثل يوحنا الامر وتعمد السيد المسيح في الاردنّ حينئذٍ ظهرت دلائل القدس وعظائم الحكم ناطقة بمجده الرفيع. قال النص: «فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء فانفتحت له السموات ورأى روح الله نازلاً مثل حمامة وحالاً عليه واذا صوت من السماء قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت»[1] وقد شهد يوحنا المعمدان عن مجد السيد مخاطباً للجمهور هكذا: «اني رأيت الروح مثل حمامة قد نزل من السماء واستقر عليه وانا لم اكن اعرفه لكن الذي ارسلني لاعمد بالماء هو قال لي ان الذي ترى الروح ينزل ويستقر عليه هو الذي يعمد بالروح القدس وانا عاينت وشهدت ان هذا هو ابن الله، وفي الغد أيضاً كان يوحنا هناك هو واثنان من تلاميذه فنظر الى يسوع ماشياً فقال هوذا حمل الله».[2] «واذ اقبل اليهود مرة الى يوحنا المعمدان. وقالوا له: يا معلم ذاك الذي كان معك في عبر الاردن الذي انت شهدت له ها انه يعمد والجميع يقبلون اليه. فأجاب يوحنا وقال لا يستطيع الانسان ان يأخذ شيئاً مالم يعطَ له من السماء انتم تشهدون لي باني قلت لكم اني لست المسيح بل انا مرسل امامه. من له العروسة فهو العروس واما صديق العروس الواقف يسمعه فهو يفرح فرحاً لصوت العروس. ففرحي هذا قد تمّ وله ينبغي ان ينمو ولي ان انقص لان الذي جاء من العلاء هو أعلى من الكل والذي من الارض هو أرضي وبالارضيات ينطق والذي أتى من السماء هو فوق الكل وبما عاين وسمع يشهد ولكن ليس أحد يقبل شهادته والذي قبل شهادته فقد ختم ان الله صادق لان الذي ارسله الله يتكلم بكلام الله لان الله لا يعطي الروح بمقدارٍ. الآب يحب الابن وقد جعل في يده كل شيء».[3]

---

(١) مت٣:١٦ الخ ومر١:٩-١١ ولو٣:٢١و٢٢ (٢) يو١:٣٢-٣٦ (٣) يو٣:٢٦-٣٥

فبعماد السيد المسيح في الاردن تمت أسرار رفيعة. أولاً ـ قد اعلن ذاته لبني اسرائيل انه المسيح الحقيقي المنتظر ولا آخر سواه يرتجى ذاك الذي انبأ الوحي الرباني عنه بفم العظيم في الانبياء اشعيا قائلاً: «ويخرج قضيب من جذر يسى وينمي فرع من اصوله ويستقر عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح العلم وتقوى الرب ويتنعم بمخافة الرب ولا يقضي بحسب رؤية عينيه ولا يحكم بحسب سماع اذنيه بل يقضي للمساكين بعدل ويحكم لبائسي الارض بانصاف ويضرب الارض بقضيب فيه ويهلك المنافق بنفس شفتيه ويكون العدل منطقة حقويه والحق حزام كشحيه». (١) وإيْ نعم هو الذي قال عنه الوحي أيضاً بفم هذا النبي: «هوذا عبدي الذي اعضده مختاري الذي سرت به نفسي قد جعلت روحي عليه فهو يبدي الحكم للامم لا يصيح ولا يجلب ولا يسمع صوته في الشوارع قصبة مرضوضة لا يكسر وكتاناً مدخناً لا يطفيء يبرز الحكم بحسب الحق لا يكل ولا ينكسر الى ان يجعل الحكم في الارض فلشريعته تنتظر الامم. هكذا قال الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الارض مع ماينبت منها الذي يعطي الشعب عليها نسمة والسالكين فيها روحاً، أنا الرب دعوتك لاجل البر وأخذت بيدك وحفظتك وجعلتك عهداً للشعب ونوراً للامم لكي تفتح العيون العمياء وتخرج الاسير من السجن والجالسين في الظلمة من بيت الحبس، انا الرب وهذا اسمي ولا أعطي لآخر مجدي ولا للمنحوتات حمدي». (٢) وقال فيه أيضاً عبارة عن لسان الابن هكذا: «ان روح السيد الرب علي لان الرب مسحني لابشر المساكين وأرسلني لاجبر المنكسري القلوب

---

(١) اش ١١ : ١ — ٥ (٢) اش ٤٢ : ١ — ٨

وانادي بعتق للمسبيين وبتخلية للمأسورين لانادي بسنة الرب المقبولة الخ».[١]

فهو بالحقيقة الذي حل عليه روح الله القدوس بعد عماده وهو الذي ناداه الله الآب من السماء قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت». تطبيقاً لما سبق الوحي عنه قائلاً: «هو ذا عبدي الذي اعضده مختاري الذي سرت به نفسي قد جعلت روحي عليه». ولا غرابة في تسميته بالوحي الالهي: «بعبدي ومختاري». فانه من حيثية تجسده من دماء البتول وظهوره بالشكل الانساني الحقيقي لامانع من وصفه بصفات البشر حالة كونه ابناً متجسداً. ولقد شهد له الآب بصوته من السماء عند وجوده على الاردنّ بالبنوة الوحيدة كما رأيت. وشهد له ايضاً بذلك يوم تجليه على الجبل المقدس اذ قال منادياً من السحابة النيرة التي كانت تظلل السيد ومن معه: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت فله اسمعوا».[٢] وقد شهد على ذلك رسوله السعيد بطرس اذ كان هو من جملة من حضروا التجلي وسمعوا الصوت قال: «لانا لم نتبع خرافات مصنعة اذ أعلمناكم قوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل كنا معاينين جلاله لانه اخذ من الله الآب الكرامة والمجد اذ جاءه من المجد الفخيم صوت يقول: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. وقد سمعنا نحن هذا الصوت الذي جاء من السماء حين كنا معه في الجبل المقدس»[٣]

وشهد له الآب أيضاً قبل آلامه اذ قد كان السيد قال بحضرة الجمع: «يا أبت مجد اسمك، فجاء صوت من السماء مجدت وأمجد أيضاً».[٤]

ولقد حقق السيد لليهود مراراً ان ماجاء به الوحي من المواعيد عن الفادي المنتظر انما كان عن شخصه خاصة. ومن جملة ذلك انه اتى الى الناصرة

---

(١) أش ٦١: ١ـ ٢٠ (٢) مت ١٧: ١ـ ٦ (٣) ٢ بط ١: ١٦ـ ١٨ (٤) يو ١٢: ٢٨

التي نشأ فيها ، ودخل كعادته الى المجمع يوم السبت وقام ليقرأ فدفع اليه سفر اشعيا النبي. فلما فتح السفر وجد الموضع المكتوب فيه: ان روح الرب عليّ ولاجل ذلك مسحني وأرسلني. (الى آخر الآية التي اوردتها أعلاه) قال الانجيل: « ثم طوى السفر ودفعه الى الخادم وجلس وكانت عيون جميع الذين في المجمع شاخصة اليه فجعل يقول لهم اليوم تمت هذه الكتابة التي تليت على مسامعكم وكان جميعهم يشهدون له ويتعجبون من كلام النعمة البارز من فيه ».(١)

ثانياً ـ بعماده في الاردن اظهر للعالم سر تثليث الاقانيم الالهية في وحدة الذات العلية فالآب بصوته الالهي ينادي من السماء والابن هو المنادى القائم على الاردن والروح القدس هو الذي حل بهيئة حمامة واستقر عليه،

ثالثاً ـ أعد لنا بعماده التقديس والتبني بالنعمة بواسطة المعمودية المسيحية التي استمدت قوتها من عماده اذ طهر عنصر الماء بانصباغه في نهر الاردن وفتح لنا طريق السعادة السماوية بانفتاح السموات له حال عماده واعد لنا الروح القدس لتطهيرنا وتبريرنا باعتمادنا باسمه بحلول الروح القدس عليه ساعة عماده. فتبارك من اودع اسراره في سر عماده وظهوره .

هذا مالاح لحقارتي ايراده تهنئة على الظهور المجيد مضافاً على تهنئة المسيحيين بعيد ميلاد الوحيد ضاعف الله لهم المسرات ومتعهم بمستقبل ميمون الطالع مأمون من طوارق الآفات محفوف بالهناء مغمور بالخيرات وحفظ عليهم وديعة الامانة القويمة وحرس فيهم نعمة الصبغة المقدسة الكريمة وحلاهم بحلى الفضائل والمحامد على الدوام وتكرم عليهم وعلى اعقابهم بغيوث جوده وآلائه جيلاً فجيلاً الى حسن الختام

---

(١) لو ٤ : ١٦ ـ ٢٢

تهنئة العيد بقيامة الوحيد [١]

تبارك من أودع في سر تجسده من أبدع الحكم سرائر ، وأذخر في باهر قيامته من ابلغ النعم ذخائر . — وبعد ، فلما كان أشرف ما يتهادى به الاخوان، وأتحف ما يتباهى بتناقله ابناء الايمان، وابهج ما يترنم بذكره وامقو الرشاد ،وابلج ما يزدهى بفخره الناظرون الى شرف الاعياد، تبريك الالسنة اذا لاح الخطاب،وتشريف اليراع متى وجب الكتاب،بما اقتبسته جواذب الالباب من أشعات الحقائق الساطعة ، وما جنته ايدي الفكر من رياض الامانة اليانعة، مما يفصح عن سمو العيد ويوضح السر الموجب التعييد ،وحيثما ان أسنى المواسم قدراً، وأبهى المواقيت البواسم ذكراً، العيد الاكبر ،والمهرجان الابهر، عيد القيامة العظمى قيامة الوحيد المجيد الكلمة الابن الازلي ،الكائن بواحدانية مع الله الآب. القنوم الثاني من الثالوث الاقدس العلي الجناب .الاله القديم السرمد ،المساوي للآب والروح القدس في وحدانية الجوهر الالهي الاوحد ،ذلك الذي به كان كل شيء وبدونه لم يكن شيء مما كوّن مركز الحياة وضياء العالمين وهداية المقتدين .[٢] من تنازل بحبه وجاء الى العالم بحيث لم تصله الثقلة الحيزية ، اذ هو النور

---

(١) طبعت اولاً بمطبعة الوطن القديمة . قال المؤلف : « من قلم الحقير في القسوس الايغومانس فيلوثاؤس بالكنيسة المرقسية الكبرى بمحروسة القاهرة في ١٧ شهر برموده القبطي (سنة ١٦٠٥ ش) موافق ١٢ نيسان الرومي سنة ١٨٨٩ مسيحية وشعبان سنة ١٣٠٦ هجرية » اهـ — وقد اهداني نسخة منها في يوم الاثنين ١١ بؤونه سنة ١٦٠٥ — ١٧ يونيه سنة ١٨٨٩ — ١٨ شوال سنة ١٣٠٦ بطنطا — ثم أعاد طبعها ثانياً مع بهجة الفؤاد بتهنئة الميلاد في كتاب واحد دعاه « تهان مجيدة على الميلاد والقيامة السعيدة » في سنة ١٨٨٩ م .

(٢) يو ١ .

الازلي الذي لا تدنو اليه المدارك الحسية، وتجسد وتأنس تأنساً كاملاً وظهر مسيحاً واحداً وابناً واحداً وفادياً واحداً .

لا غرو ان أجل ما يتنافس به المسيحيون وأمثل ما يتفاخر به المؤمنون ، تبادل التهنئة بقيامة هذا الوحيد ، حمل الله الكافل رفع أثقال العبيد .

فلذلك أيها السادة الاكارم، اولو الفضل والمنن الجسائم، اذ قد كانت جرت سنة الآداب وسرت سجية اللطف أن يكرم الموضوع لمحموله ، والطرس لمشموله، واني أراني عاجزاً عن مباراة براعة المحررين، ومجاراة براعة المهنئين، اذ كنت صفراً من فصاحة الفصحاء، وبلاغة الخطباء، لم أر في تهنئتي هذه العيدية ، وتقديم رسالتي هذه الودية ، الا الاستتار في وارف أفنان الديانة، والالتجاء الى رقيق معاني الامانة ، والتفيء بظل أكناف رسول الحق اليقين، واستاذ جميع المؤمنين، القائل: «وانا لما أتيتكم أيها الاخوة لم آت ببراعة الكلام او الحكمة مبشراً لكم بشهادة الله . بل بابداء الروح والقوة لكي لا يكون ايمانكم عن حكمة الناس بل عن قوة الله» .[1]

وبناء على ذلك أحسر عن ساعد البيان ، وان تجردت عبارتي عن سحر البيان، وأقدم على تهنئة حضراتكم وحضرات كافة اخواننا في الايمان، من ارثوذكس وكاثوليك من شرقيين وغيرهم من قاطبة المسيحيين، جميع من يتحد قلبياً في بهجة قيامة فادينا ، ويحتفل بالاحتفاء الديني لاسرار مهدينا، ويحترم بالحق موسم يوبيل[2] الخلاص العام، المبشر المؤمنين بالسلم

---

(١) ١ كو ٢ : ١ — ٥ .

(٢) اليوبيل معناه الهتاف وهو موسم مرسوم من الله لليهود في العهد العتيق

والانعام، أعاد الحق على كافتهم توالي بواسم هذا العيد البهيج، ولسان حال الكل بشعائر الامتنان والسبح لجانب العزة الازلية مترنم لهج.

أيها السادة: ان القيامة المجيدة هي محط دائرة حكم التجسد الشريف ومظهر مفاخر سرائر سر الفداء الرفيع قال الرسول السعيد مفتتحاً رسالته الى أهل رومية: «من بولس عبد يسوع المسيح المدعو ليكون رسولاً المفرز لانجيل الله الذي وعد به من قبل عن ابنه الذي صار من ذرية داود بحسب الجسد الذي حدّد ان يكون ابن الله بالقوة بحسب روح القداسة بالقيامة من بين الاموات وهو يسوع المسيح ربنا».[1] فالقيامة يراها المؤمن كشمس مزدهية بين اقمار التدبير التجسدي وقد جذبت اليها جميع النيرات التدبيرية. فهي من جهة ترى كأنها مركز تتعلق به صحة أقسام حسن الاعتقاد في سر التأنس العجيب ومن جهة ترى في حد مجدها وبهائها فائقة السطوع لا يمكن للاجهر ان يقابل ضياءها الابهر. ومن جهة ترى كانها كنز قد افاض ذخائر رفيعة ومفاخر بديعة. فهي ولا غرو آية الآيات واعجوبة المعجزات. (فأولاً) من جهة انها مركز تتعلق به حقائق حسن الاعتقاد في سر الخلاص فذلك يتضح جلياً للمتبصر في سرها بعين التأمل اذ تنجلي له مخدرات الحقائق التدبيرية بأسرها. وذلك لانه لو لم يكن الكلمة الازلي صار جسداً بالحقيقة.[2] اي انه تجسد وتأنس بالكمال من الروح القدس ومن دماء السيدة مريم فخر

كان يصنع كل خمسين سنة مرة وبه كان تعتق الاسرى ويرجع كل الى ملكه وعشيرته وتستريح الارض من الزراعة وتكون سنة اليوبيل مقدسة مباركة (لا ٢٥) واستعير هنا لعيد القيامة المجيدة لمناسبات معتبرة.

(١) رو ١: ١ — ٤

(٢) يو ١: ١٤

نساء العالمين.[١] ولو لم يكن التجسد كاملاً اي بجسد ونفس عاقلة ناطقة حقيقيين. ولو لم يكن هذا التجسد منزهاً عن كل نقص وكل امتزاج واختلاط وتفاسد واستحالة وتخيل وما اشبه من الاوهام والشناعات الابوليناريوسية والاوطاخية المرذولة وغيرها.[٢] — لم يكن ممكناً للوحيد أن يقتبل الآلام ثم الصلب ثم الموت الذي هو مفارقة النفس الناطقة للجسد الى حين، لكن اذ قد كان تجسده حقيقياً لا خيالياً وكاملاً بروح عاقلة وجسد بشري لا ناقصاً ومنزهاً عن كل تغيير واستحالة بالجملة، صح له أن يقتبل بناسوته الآلام وأوصاب الصلب وتجرع الموت عنا بالحقيقة. ومن ثمَّ تم له أن ينادي من على الصليب بصوت عظيم قائلاً: يا أبت في يديك أستودع روحي ولما قال هذا أسلم الروح[٣] وحينئذٍ بذوقه الموت عنا بالجسد حقيقة اكمل سر افتدائنا وتبريرنا وكمل بالفعل ما أنبأ به الوحي المقدس عنه هكذا: «أنه لقد أخذ عاهتنا وحمل أوجاعنا. جرح لاجل معاصينا وسحق لاجل آثامنا، فتأديب سلامنا عليه وبشدخته شفينا كلنا، ضللنا كالغنم كل واحدٍ مال الى طريقه فألقى الرب عليه اثم جميعنا»[٤] فكان ما اقتبله بجسده عنا حقيقياً فتأثر بجسده وتألم

---

(١) مت ١ : ٢٠ ولو ١ : ٣٥

(٢) ابوليناريوس اسقف اللاذقية وجد في الجيل الرابع وكان يزعم ان سيدنا اخذ جسداً بشرياً بدون نفس عاقلة ناطقة وان اللاهوت قام للجسد مقام النفس. واوطيخا ويقال له اوطاخي وافتيخس رئيس دير في القسطنطينية وجد في الجيل الخامس كان يزعم ان سيدنا لم يأخذ الجسد من ذات دماء السيدة البتول مريم بل جاء به من السماء واجتاز بها وولد بدون ما يأخذ منها شيئاً الى غير ذلك من الاراء الفاسدة المرذوله.

(٣) لو ٢٣ : ٤٦.

(٤) اش ٥٣ : ٤ — ٦

حقيقة ومات حقيقة ودفن بجسده حقيقة. ثم قام بجسده ذاته قيامة حقيقية. وحقق في أنفس خواصه وأمنائه أمر قيامته بأن ظهر لهم بعد قيامته وقال لهم: ما بالكم مرتعدين، ولماذا ثارت الاوهام في قلوبكم انظروا يديّ ورجليّ اني أنا هو، جسوني وانظروا فان الروح ليس له لحم ولا عظام كما ترون لي (١)

ولو لم يكن التجسد اتحاداً بين اللاهوت والناسوت ذاتياً لا أدبياً جوهرياً حقيقياً قنومياً لا نسبياً فقط ولا وهمياً كالزعم النسطوري المرذول، لما كان امكن لنفسه الاقدسية أن تنتصر على سلطة الهاوية ولا كان الجسد الاقدس يتغلب على سطوة الموت ويلبث مصوناً من الفساد. قال الرسول السعيد بطرس: «لان داود يقول فيه كنت أبصر الرب امامي في كل حين فانه عن يميني لكي لا أتزعزع.. لانك لا تترك نفسي في الجحيم. ولا تجعل قدوسك يرى فساداً.. أيها الرجال الاخوة أنه يسوغ أن يقال لكم جهراً عن داود رئيس الآباء أنه قد مات ودفن.. فاذ كان نبياً.. سبق فأبصر وتكلم عن قيامة المسيح بأنه لم يترك في الجحيم ولم ير جسده فساداً» (٢)

فلو لم يكن المتجسد إلهاً حقيقياً متأنساً فأنّى له وقدمات موتاً حقيقياً أن يظفر بعزة الموت؟ من ذا الذي رأى ميتاً اعتيادياً ضبط قوة الموت وقهر سلاح الفناء وحطم جبروت البلاء وحفظ جسمه من الفساد وقام بقوة اللاهوت.. ناقضاً آلام الموت اذ لم يكن ممكناً للموت ان يمسكه؟ (٣) حقاً أنه يستحيل على سلطان الموت ان يضبط عين الحياة ومانح الحياة للمائتين ذلك الذي بمجرد صوته الالهي طردت سطوة الموت عن الجثة الفاسدة

---

(١) لو ٢٤ : ٣٨و٣٩ (٢) اع ٢ : ٢٥ — ٣١ (٣) اع ٢ : ٢٤

التي انشب الموت القهور فيها اظفاره وعند مانودي الميت هكذا يالعازر هلمَّ خارجاً [١] خرج ذلك الميت حياً من القبر أمام الناظرين ملفوفاً باكفانه. ولا غرابة في حق الوحيد لانه ذاته قال: «أنا القيامة والحياة من آمن بي وان مات فسيحيا» [٢] وحقق المقال بواضح الفعال

أين رؤي أو سمع ان ميتاً هو حي قادر ومدفوناً غالب ظافر سوى فادينا الذي كان: «مماتاً في الجسد محيي في الروح» [٣]

أين رؤي أو سمع ان ميتاً هو قوي ضابط زمام العالم بسر لاهوته سوى مولانا؟ إيْ نعم! منْ مِنْ ان الاموات انشقَّ حجاب الهيكل الاورشليمي اعتباراً لموته الاَّ يسوع عند ماأسلم ومنْ منَ الراقدين تزلزلت الارض وتفتتت الصخور كأنها آسفة حزينة على موته سوى يسوع؟ ومن ذا الذي عند ماصاح واسلم النفس تفتحت القبور وقام كثير من أجساد الصالحين الراقدين احياء اجلالاً لموته سواه؟ ومنْ غير يسوع عند قيامته نهض أولئك الذين قاموا من الموتى وخرجوا من قبورهم ودخلوا مدينة القدس وتراآوا لكثيرين شهادة ساطعة لحقانية قيامته المنيفة؟ [٤]

فلو لم يكن بالحقيقة إلهاً متجسداً حُمل به بسر قدرته الغير مدروكة في الاحشاء البتولية جسدياً وولد من البتول حارساً صائناً بكورية الوالدة الدائمة البتولية لما امكنه ان يطرد الموت عن جسده ويعيد له الحياة باعادة النفس الاقدسية اليه كما كانت وينهض من الضريح غير مبالٍ بتحصين بابه بالصخر وختمه من رؤساء القتلة ولا ملتفت الى جلادة رجال الحرس الحكمي المحيطين بالقبر الذين أضحت قواهم لدى قيامته كالهباء الداثر.

---

(١) يو ١١: ٤٣ (٢) يو ١١: ٢٥ (٣) ١بط ٣: ١٨ (٤) مت ٢٧: ٥١-٥٣

ولولم يكن الابن الوحيد ذاق الموت بالجسد حقاً فأنّى كان لنا الفوز بأسراره المحيية اذ من الضروري حصول الموت حتى بهراق الدم ويتيسر للمؤمنين مساهمة سر جسده ودمه ؛ ولو لم يدفن حقيقة لما كان المعتمدون باسمه يدفنون معه بالصبغة المقدسة. ولو كان السيد لما مات ولما دفن لم يقم حقيقة ولم ينتصر فعلاً على عزة الموت ،لما كان العماد تجديداً للمؤمن روحياً ولاسر الشكر تقديساً للمساهمين وقوتاً سمويا .. لكن بما أنه قام حقيقة فاذا كما يهتف الرسول قائلاً : « ان كل من اصطبغ منا في يسوع المسيح اصطبغ في موته فدفنا معه في الموت حتى اننا كما اقيم المسيح من بين الاموات بمجد الآب كذلك نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة »[١] فمبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح الذي على حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من بين الاموات.[٢] وحقاً اننا بسر موته وقيامته نشترك في جسده الاقدس ودمه الزكي المحيي.[٣] قال الرسول: «فكم بالاحرى دم المسيح الذي بالروح الازلي قرّب نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من الاعمال الميتة لتخدموا الله الحي»[٤] وقال الرسول بطرس: «من بطرس رسول يسوع المسيح الى .. المختارين بحسب سابق علم الله الآب بتقديس الروح لطاعة يسوع المسيح ورش دمه »[٥]

ولو لم تكن قيامة بسوع حقيقية فلا قيامة تنتظر ولامجازاة تعتبر بل ولا تدين ولا تكليف : لكن الحال (يقول الرسول) : «ان المسيح قد قام

---

(١) رو ٦ : ٣و٤ (٢) ١بط١ : ٣ (٣) ١كو ١٠ : ١٥ ـ ١٧و١١: ٢٣ ـ ٢٩ (٤) عب ٩ : ١٤ (٥) ١بط١ : ١و٢

من بين الاموات وهو باكورة الراقدين فكما في آدم يموت الجميع كذلك في المسيح سيحيا الجميع »[١]

لو لم يكن قام فادينا حقيقة لما كان صعد بالجسد الى السماء حياً اذ صعوده مرتبط بقيامته ولذلك لما قام حياً وظهر في نفس اليوم الذي قام فيه لمريم المجدلية التي كانت ترددت على القبر في صبيحة ذلك اليوم وهي باكية وحقق لها قيامته قال لها : امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى ابي وأبيكم والهي وإلهكم . فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ انها رأت الرب وانه قال لها هذا[٢]

وقد تمّ وصعد كما وعد لتمام أربعين يوماً من قيامته بحضور محفل من خواصه[٣] لانه لو لم يصعد الى السماء لما كان الروح القدس يأتي الى خواصه ويعزيهم على فراقه عنهم بالجسد ويملأهم من المواهب والحكمة وبما يؤيدهم من المنح السامية يعلن الشهادة العظمى على مجد وقدرة مولاهم . قال له المجد مخاطباً لرسله ليلة آلامه : « لاني ان لم انطلق لم يأتكم المعزي ولكن اذا مضيت أرسلته اليكم »[٤] فالروح المعزي قد أتى فعلاً أي تراءى لخواص السيد وهم مجتمعون في مكان واحدٍ في مدينة القدس لتمام عشرة أيام من صعوده الى الاعالي وملأهم من المواهب والحكمة فطفقوا في الحال ينطقون بلغات كثيرة مختلفة[٥] ومن ثمّ لما اوعبت انفس الرسل من مواهب وحكم الروح فاض قلب الرسول بطرس ونهض مع باقي الرسل وصاح خاطبا على الجمهور . ومما قاله لليهود هكذا : « فيسوع هذا قد أقامه

---

(١) ١ كو ١٥ : ٢٠ و ٢٢ (٢) يو ٢٠ : ١٧ و ١٨ (٣) مر ١٦ : ١٩ لو ٢٤ : ٥٠ و ٥١ واع ١ (٤) يو ١٦ : ٧ (٥) اع ٢

الله ونحن كلنا شهود بذلك. واذ كان قد ارتفع بيمين الله وأخذ من الآب الموعد بالروح القدس أفاض هـذا الروح الذي تنظرونه وتسمعونه . فان داود لم يصعد الى السموات لكنه هو يقول: قال الرب لربي اجلس عن يميني.. فليعلم يقيناً جميع آل اسرائيل ان الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه رباً ومسيحاً (١)

فالسيد صعد بالجسد الى أعالي المجد حقيقةً وما كان صعوده حقيقياً الا لكونه قام من بين الاموات حقيقةً

ودعنا وهذر القتلة وانخداع أبنائهم وأحفادهم هداهم بفضله مولانا وقادهم بهديه الى ما اهدانا اليه. قد حكموا على السيد بالموت حسداً وبغضة وجوراً : وهو اقتبل ذلك برضاءٍ واختيار ليتم سر تدبيره العجيب. اقتبل الموت بالانسانية التي اتخذها ليحيي موات الانسانية . لم يأخذ الانسانية ليتمجد بها بل لكي يمجدها ويرفع شأنها فلذلك لما أخذ الانسانية لم يستنكف من قبول لوازمها المقدسة. لانه اذ كان سرّ بأن يولد بالجسد من امرأة لتشريف المولد الانساني وتقديسه ، فلا بدع ان يقتبل موتاً برضاءٍ وشهامةٍ لخلاص النوع الانساني. الا انه قد كان في موته فريداً عجيباً فائق عادة الموتى كما انه في مولده كان فريداً عجيباً فائق حدود المولودين . لانه وان يكن ولد حقيقةً من امرأة طفلاً كباقي الاطفال الا انه لم يكن عن مشاركة زوج كباقي المولودين بل ولد من العذراء وحفظها عذراء كذلك . وان يكن مات حقيقة كباقي الناس الا انه لم يسمح للموت ان يسطو بشوكته على جسده الزكي لينحل نظامه أو يشين جماله وقوامه . بل حفظه بقوّة لاهوته كما شهدت النبوة الداودية . (٢)

---

(١) اع ٢ : ٣٢ ـ ٣٦ (٢) مز ١٥ : ٩ الخ

وفي صبيحة الاحد باكراً جداً قام بقدرته حياً تطبيقاً لسابق وعده الصادق.

قال له المجد منبئاً رسله عن آلامه وموته من قبل ذلك باوقات «انه ينبغي ان يمضي الى أورشليم ويتألم كثيراً من المشايخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل ويقوم في اليوم الثالث»(١)

وقال ايضاً لهم: «ان ابن البشر سيسلم الى أيدي الناس فيقتلونه وبعد ان يقتل يقوم في اليوم الثالث»(٢)

وقال لهم ايضاً موضحاً ظروف آلامه وموته: «هوذا نحن صاعدون الى أورشليم وسيتم كل ما كتب بالانبياء عن ابن البشر فانه سيسلم الى الامم ويهزأ به ويشتم ويبصق عليه وبعد ان يجلدوه يقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم»(٣)

وقال أيضاً مخاطباً للجمهور عن أنه سيموت ولكن ذلك باختياره وان له السلطان الالهي على اعادة روحه الى جسمه بقدرته: «من أجل هذا يحبني الآب لاني أبذل نفسي لآخذها أيضاً ليس أحد يأخذها مني ولكنني أبذلها باختياري ولي سلطان أن أبذلها ولي سلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي»(٤) فحقاً قام المسيح بقدرته الذاتية وحقق قيامته بظهوره للرسل وغير الرسل أكثر من خمسمائة أخٍ. وتردد بينهم نحو الاربعين يوماً. ثم صعد الى السماء. قال الرسول: «فاني سلمت اليكم أولا ما تسلمته أن المسيح مات من أجل خطايانا على ما في الكتب وانه قبر وانه قام في اليوم الثالث على ما في الكتب وانه ترآءى لكيفا ثم للاحد عشر ثم ترآءى لاكثر من خمسمائة أخٍ معاً أكثرهم باقٍ الى الآن... ثم ترآءى ليعقوب ثم

---

(١) مت١٦: ٢١ (٢) مر ٩: ٣١ (٣) لو ١٨: ٣١—٣٣ (٤) يو ١٠: ١٧و١٨

لجميع الرسل. وآخر الكل ترآءى لي أنا أيضاً » [١]

وفي هذا النص قد أقام الرسول البرهان الساطع على قيامة المخلص من جهتين: (الاولى) ظهوره لجمهور أكثر من خمسمائة أخ يمتنع عليهم التواطؤ على الكذب. (والثانية) كون الكثيرين ممن رأوا السيد كانوا أحياء باقين في العالم عند ما حرر الرسول رسالته

فالفادي قد مجّد الانسانية باتحاده بها وعزز جانب رقاد المؤمنين بقيامته وغلبته لعزة المنون. قال الرسول: «لانه لهذا مات المسيح وعاد حياً ليسود على الاموات والاحياء» [٢]

وقال أيضاً: «فأين غلبتك أيها الموت وأين شوكتك ياجحيم.. فشكراً لله الذي منحنا الغلبة بربنا يسوع المسيح . » [٣]

ولو تعقل اليهود وتدبروا حسناً لرأوا من نص كتابهم المقدس ما يرشدهم الى أن مولد السيد من مريم العذراء وموته على الصليب اللذين يزدرون بهما هما دلائل عظمة المسيح الحقيقي الموعودين بمجيئه .

فما شهد به الوحي المقدس نبوة عن ميلاده بالجسد من البتول . قال الله تعالى مخاطباً لبني اسرائيل : «فلذلك يؤتيكم السيد نفسه آية ها ان العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل» . [٤]

فالآية العظمى والعمل الالهي الاسمى انما هو تجسد الابن الكلمة من الروح القدس ومن السيدة العذراء ومولده منها وهي عذراء .

وانظر كيف الوحي يصف أيضاً مولده الجسدي معيناً ثلاثة أشياء :

(أولاً) كونه قديماً أزلياً مع الآب قبل كل الدهور

---

(١) ١كو ١٥: ٣—٨ (٢) رو ١٤ : ٩ (٣) ١كو ١٥: ٥٥ (٤) اش ٧ : ١٤

(ثانياً) كونه يولد جسدياً على الارض

(ثالثاً) نفس محل مولده الذي يولد فيه

فقال: «وانت يا بيت لحم افراثة انك صغيرة في ألوف يهوذا ولكن منك يخرج لي من يكون متسلطاً على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الازل» (١)

ومما نطق به الله تعالى في الوحي المقدس عن آلام السيد المسيح وصلبه وموته واحتماله ذلك بوداعة غريبة لاجل خلاص عبيده. قال:.. «قدم وهو خاضع وهو لم يفتح فاه كشاة سيق الى الذبح وكحمل صامت امام الذين يجزونه ولم يفتح فاه ... فمنح المنافقين بقبره والاغنياء بموته لانه لم يصنع جوراً ولم يوجد في فمه مكر ... والرب رضي ان يسحقه بالعاهات فانه اذا جعل نفسه ذبيحة اثم يرى ذرية وتطول ايامه ومرضاة الرب تنجح على يديه...

فلذلك اجعل الكثيرين نصيبا له والاعزاء غنيمته لانه أفاض للموت نفسه وأحصي مع العصاة وهو حمل خطايا كثيرين وشفع في العصاة». (٢)

فهو ذا الوحي لم يتحاش عن تبيين ما احتمله الفادي من الآلام والصلب والموت بظروفه موضحاً ان ما يحتسبه اليهود عاراً هو عين المجد والشرف وما يخالونه ضعفاً هو عين القوة والظفر. ألا ترى انه وان يكن تألم ومات وقبر لكن بموته ودفنه افتدى المنافقين والاغنياء وامتدت مملكته ونجحت التدابير الالهية بواسطته واضحى الكثيرون من العالم واعزاء من نصيبه وغنيمته. ومن ترى تمَّ له ذلك الاَّ يسوع الناصري الذي تتعبد له الممالك العظمى والامم الشهيرة والشعوب المختلفة والالسن المتنوعة فتبارك من أودع أسراره في وحيه المقدس

---

(١) مي ٥ : ٢ (٢) اش ٥٣ : ٧ — ١٢

وناهيك مما أعلنه الوحي أيضاً عن تعيين الزمن الذي يقتل فيه المسيح الحقيقي المنتظر ومايقع بعد ذلك انتقاماً من القتلة وخراب مدينتهم وهيكلهم ولغو ذبائحهم وشعائرهم وشتاتهم شتاتاً أبدياً الأمر الذي هو اسطع من الشمس قال:

«وبعد الاسابيع الاثنين وستين يقتل المسيح .والشعب الذي ينكره لايكون له.وشعب رئيس آتٍ يدمر المدينة والقدس...(الى ان قال:) وفي اسبوع واحدٍ يبتّ لكثيرين عهداً ثابتاً وفي نصف الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة وفي جناح الهيكل تقوم رجاسة الخراب والى الفناء المقضي ينصبّ غضب الله على الخراب [١]»

فهذا السر الذي اعلنه الله بوحيه مما لايحتاج مع وضوحه تفسيراً ماهو الا ماقضى به من الحق سبحانه وتعالى من جهة ظهور مسيحه وجحود اليهود له وقتله ثم حصول الانتقام منهم بواسطة القائد الروماني الذي دمّر مدينتهم ونجس هيكلهم وخربه وبطلت ذبائحهم وشعائرهم وتشتتوا ودام خرابهم الى الآن وسيدوم الى النهاية شاهداً لصدق كلام الله ومسيحه القدوس وهذا لم تكن رسل المسيح محرّريه في انجيل مولاهم بل حرّره الانبياء بالوحي الالهي في مصحف اليهود المقدس .ولعمري ان السيد المسيح لم يصمت عن الانذار بذلك قبل موته بل صرح به وأوضحه بكل دقة وتفصيل قبل وقوعه فليطلع المسيحي على ماجاء في الانجيل المقدس [٢] ولاسيما مانادى به منذراً على رؤوس الملأ ساعة أخذه ليصلب مما سيحيق بأورشليم وشعبها انتقاماً عادلاً لكفرهم [٣]

---

(١) دا ٩: ٢٦ الخ (٢) مت ٢٤ مر ١٣ لو ٢١ (٣) لو ٢٣ : ٢٧

(ثانياً) واما من جهة ان قيامته في حد مجدها وبهائها فائقة السطوع يمتنع على أجهر البصيرة معارضتها فالامر انور من ان يعبر مهما ادعى أصحابنا اليهود وقالوا انه لم يقم . اذ لاغرابة فيما يقولون لان لاجدادهم الفضل في نكران الجميل حيث انجدهم الباريء العزيز وهم في ضنك العبودية للمصريين وانقذهم من مصر وخلّصهم من بطش فرعونها واجازهم البحر الاحمر كعلى اليبس وطحن اعداءهم بنوارج الامواج وهداهم في البرية وعالهم بالمنّ والسلوى وانبع لهم الماء من الصخر ووقاهم حر النهار وانارهم في ظلام الليل واخيراً في ثالث شهر لخروجهم من مصر تجلّى في جبل سيناء بنار ورعود واصوات ودخان بمرأى من جميع الشعب الذي كان محيطاً بالجبل وخاطب موسى بالشريعة لكي يبلغها للشعب واخيراً اعطاه لوحي الشهادة مكتوبين باصبع الله فلم يصبروا على عودة موسى اليهم من الجبل وسماعهم منه الشرع الالهي بل عجلوا وكافأوا هذا القدير الازلي مخلصهم بان اقاموا لهم الهاً عجلاً ذهبياً صنعة الايدي وخضعوا وهللوا لعجلهم وقالوا: هذه آلهتك يا اسرائيل التي اصعدتك من أرض مصر بل ورفعوا امام صنمهم المحرقات وقدموا له الذبائح (١)

وعدلاً تذمّر العلي من سوء صنيعهم قائلاً لموسى: «هلم انزل فقد فسد شعبك الذي اخرجته من أرض مصر قد حادوا سريعا عن الطريق الذي امرتهم بسلوكه وصنعوا لهم عجلاً مسبوكاً فسجدوا له وذبحوا له... وقال الرب لموسى : قد رأيت هؤلاء الشعب فاذا هم شعب قساة الرقاب» (٢)

لكن أصحابنا اليهود يقولون لنا ماعلينا تلك مسئلة وهذه مسئلة

---

(١) خر ٣٢ : ١ — ٦ (٢) خر ٣٢ : ٧ ـ ٩

أخرى فان يسوع مسيحكم لم يقم وانما سرقه انصاره التلاميذ . نقول لهم :

س. من أعلمكم بذلك؟ ج . الجنود

س. وماهي صفتهم واين كانوا ومتى كانوا؟

ج. كانوا حرّاساً على المدفن والمدفون من قبيل الوالي وأمة اليهود وكان وجودهم حذاء القبر من بعد دفنه وذلك ان رؤساء الكهنة والفريسيين التمسوا من بيلاطس الوالي ان يضبط القبر بحراس حتى تمضي ثلاثة أيام ففوضهم الوالي ورتبوا الحرس الكفاية وضبطوا القبر وختموا الحجر المغلق به بمعرفتهم

س. ماذا كانت صفة المدفن ولماذا طلب الرؤساء مثل هذه الحراسة وهذا الضبط على المدفن؟ هل هذه عادة يهودية أم خاصة بجسد يسوع ومن أي شيء كان يخشى الرؤساء من قبل المدفن والمدفون فيه حتى اجتهدوا في ضبطه وحراسته على هذه الصفة ؟

ج. ان المدفن كان جديداً منحوتاً في صخرٍ في بستان ولم يوضع فيه الا جسد يسوع فقط . أما تطلب الرؤساء حراسة المدفن وضبطه منهم بالاختام فليس كان أمراً اعتياديا بل خاصاً بيسوع وذلك ان الرؤساء بعد دفنه تذكروا ان ذلك الرجل قال وهو حي: اني أقوم بعد ثلاثة ايام فترجوا الوالي بضبط القبر الى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ويسرقوه ويذيعوا بين الشعب انه قام فتكون الضلالة الاخيرة شراً من الاولى والوالي فوّضهم في ذلك [1]

س. لا بأس، فكيف اذاً كانت سرقة الجسد ؟

ج. كان الحراس نائمين وجاء التلاميذ وسرقوا الجسد ليلاً

---

(١) مت ٢٧ : ٦٢ الخ

س. وكيف يقبل القضاة شهادة النائمين الذين لا يشعرون بشيء حال نومهم حتى يشهدوا عليه؟ قال الله تعالى: «لا تقبل خبراً كاذباً ولا تجعل يدك مع المنافق بشهادة زور لاتتبع الكثيرين الى فعل الشر ولا تحرّف في جوابك في الدعاوي مائلاً جهة الكثيرين»(١)

وكيف لم يعاقبوا مثل هؤلاء الذين خانوا مولاهم وخالفوا القانون وغشوا الامة اذ قد كانوا مجرمين من كل وجه سواء كانوا كما يقولون ناموا جميعاً وخالفوا الامر الحكمي ولم يسهروا لحراسة القبر انفاذاً لما أُمروا حتى سرق الجسد وهم لم يشعروا أو لم يناموا بأسرهم وشعر بعضهم بالسرقة ولم يضبطوا السارقين؟

لا بل كيف تصدّقون أنتم ـ أيها اليهود ـ في هذه الدعوى الباطلة من أن جمهوراً معيناً من قبل الحكم بطلب الامة لحراسة مهمة يسطو عليهم حمام النوم قاطبةً ولا يشعر أحد منهم بفكّ خواتيم الضريح وقلقلة الصخرة ونزع الاكفان بما فيها من الحنوط الجسيم المقدار عن الجسد ورفع الجسد والذهاب به. فيالله من الافك الشنيع والافتراء المريع!

هب انهم ناموا سكارى كالموتى فمن أين علموا ان الصيادين المساكين الذين هربوا في حياة مولاهم واختفوا عن الاعين وباتوا مرتجفين كالقصبة امام مهب الزوابع حيارى هلعين وجلين اقتحموا مثل هذه المخاطر وعرضوا أنفسهم لغضب الحكم وهيجان الامة وتداخلوا بين الهيئة الحارسة وخطفوا الجسد واولئك لا يشعرون؟ هم نيام على زعمكم فمن أين علموا حقيقة الامر ان كان الجسد سرق أو قام حياً؟ بل ومن أين علموا ان السارق كان تلاميذه

---

(١) خر ص ٢٣ : ١ و ٢

اولئك الذين عند ما أحاط به الجنود ليلة أخذه هربوا جميعاً ولما تتبعه اثنان منهم على بعد ليروا ماذا يتم له في الحكم. وقد عرف احدهما من جارية أنه من اصحابه أنكر على ذلك وجحد معرفته به بالاصالة ولم يحضره حال صلبه الاّ والدته ومن معها من النساء الباكيات ومن تلاميذه يوحنا فقط ولم تمكث والدته عند الصليب بل صرفها السيد هي ويوحنا تلميذه قبل ما يسلم الروح (١)

فاذا كان تلامذته تركوه في حياته واحدهم أنكر معرفته خوفاً من بطش اليهود به وما كان خوفه الاّ من سؤال جارية، فانّى يعقل أنهم يأتون بعد موته ويتجاسرون على سرقة الجسد والى أين يمضون به ؟ وكيف يسترون هذه الحادثة في مدينة أورشليم عاصمة اليهودية المدينة المنتظمة المحكمة وقتئذٍ المستكملة شؤون الحكم والحرس سيما في ذلك الوقت حيث كانت حادثة صلب يسوع من جهة وموسم الفصح والفطير من جهة — ان هذا الاّ افك مبين

فالواقع هو غير ذلك وحقيقة الامر هي ان السيد لهُ المجد لما أراد في اللحظة التي يعلمها هو وأعاد نفسه الناطقة الزكية الى جسده الشريف ونهض حياً وخرج من القبر بلا مانع وتجلت الملائكة على قبره وتزلزلت البسيطة طرباً بقيامته كما تزلزلت أسفاً حال صلبه وارتعد الحراس من هذه الخوارق وأخذت منهم الرجفة أشد مأخذاً واخيراً لما فاقوا ومضى بعضهم الى رؤساء الكهنة وأقروا بما شاهدوا وبما سمعوا وبما جرى عليهم اجتمع اولئك مع شيوخ اليهود وتشاوروا — وبئس المشورة — وقرّ رأيهم على ان يرشوا العسكر الحرّاس بفضة وافرة ولقنوهم بان يدّعوا بان تلاميذه أتوا ليلاً

---

(١) يو ١٩ : ٢٥ — ٢٧

وسرقوه وهم نيام وتعهدوا لهم باستعطاف الوالي من جهتهم فأخذ الحراس الفضة وباعوا الحق بالدرهم وقالوا بما لقنوا والرشوة تعمي البصائر . قال الله تعالى: « لا تأخذ رشوة فان الرشى تعمي البصراء وتفسد اقوال الابرار »(١)

ومن ثمّ أُذيع بين اليهود ان التلاميذ سرقوا الجسد وتمّ على الرؤساء وأهل المشورة ما نسبوه للرسل بعد موت السيد وما خشوا من حدوثه وقعوا فيه باختيارهم اذ قالوا لربما يأتي تلاميذه ويسرقون الجسد وتكون الضلالة الاخيرة شرّاً من الاولى . فالتلاميذ لم يسرقوا الجسد بل قام حياً، والحراس أقروا بالحق. لكن الرؤساء ابوا الاّ ان يبيعوا الحق بالباطل وينكروا الشهادة الصحيحة فكانت ضلالتهم الاخيرة شرّاً من الاولى، ونقول لهم ايضاً : افرضوا جواز قبول ادعائكم بانه سرق وكأني به كما تشنعون كان ضالاً . فليت شعري، ما هي الفائدة العائدة من سرقته على تلاميذه؟ أملاحظة لمحبتهم فيه واحترامهم اياه؟ نعم! كانوا يحبونه ويحترمونه حال وجوده بينهم. لكنهم اذ قد كانوا سمعوا منه الوعد مراراً قبل موته بانه سيقوم حياً، فان كان لم يقم حقيقة كما وعد فأين توجد عندهم تلك المحبة وذلك الاحترام في من لم يفِ بوعده ولم يصدق في عهده ؟ ان كان في حياته قد هربوا ولم يمكثوا ساعة واحدة حول معلمهم بل استولى عليهم الجزع والهلع وتشتتوا قبل ما تنجلي لهم حقيقة الامر: ان كان يقوم فعلاً أو لا يقوم، فكيف يتأتى لهم ان يعودوا ويتمسكوا باذياله بعد موته ويسرقوا جثته ويذيعوا انه قام وهو (على رأي الجاحدين) لم يقم ؟

أتراهم أقدموا على هذا الصنيع طلباً للفائدة ورغبة في الفخر ؟ لعمري،

---

(١) خر ٢٣ : ٨

أن المسئلة بسيطة جداً، وذلك انه إن كان معلمهم لم يقم حقيقةً فلا جدوى لهم من سرقة جثته والادعاء بقيامته بل الضرر . ولا فخر لهم من ذلك بل الخطر. اذ يكونون عرضوا ذواتهم لعداوة الامة وهيجانها وسطوة الحكم ومعارضة المعترضين وسلموا ذواتهم للمخاطر دون ثمرة ولا عائدة . ولا انسان فيه ذرة من العقل يسلم ذاته لمثل ذلك البتة.

أيها الناكرو قيامة المخلص ! افتحوا ألحاظ التبصر تروا الحقيقة ضد جحودكم. لان يسوع بالحق قام حياً وظهر لرسله أولئك الضعاف، وجمع شملهم بعد الشتات، وانعش عزائمهم بعد الموات، ومسهم بسرّ قوّته الالهية واوعبهم من ذخائر حكمه الرفيعة، وايّدهم بمواهب روحه القدوس، وعلمهم الكتاب والحكمة، وانطقهم باللغات المتنوعة، واقدرهم على صنع الخوارق الباهرة، فانتقلوا بغتةً من حضيض الضعف الى ذرى الشجاعة، ومن دناءة الجهل الى سمو الفهم والبراعة، وطفقوا يجولون بين القوم رافعين ألوية مولاهم الذي صلب وذاق الموت بجسده وقام حياً بقدرته . ولم يلبثوا ان ينادوا بقيامته العظمى على مسامع الجماهير العبرانية في نفس اليوم الذي توشحوا فيه بمواهب روح الله القدوس تطبيقاً لوعد معلمهم قبل صعوده عنهم الى السماء وكان ذلك لعاشر يوم من صعوده وهو يوم الاحد عيد العنصره حيث يتقاطر اليهود من كل قطر ليعيدوا في مدينة القدس. فانضم في ذلك اليوم من اليهود ثلاثة آلاف نسمة واعتمدوا باسم يسوع المسيح (١) وباسم يسوع كان الرسل يصنعون الجرايح العظام (٢)

ومع ان الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيين تضجروا من اثنين

---

(١) اع ٢ : ٤١ (٢) اع ٤

منهم وهما بطرس ويوحنا اذ كانا يناديان في نفس الهيكل بقيامة يسوع من بين الاموات بعد ما ان اظهرا أُعجوبة باسمه حال دخولهما للهيكل وهي شفاء مقعد من بطن امه كان يحمل ويوضع عند احد ابواب الهيكل ليتصدق. وبمجرد ماقال له بطرس: باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش. وامسكه بيده اليمنى واقامه ففي الحال تشددت رجلاه وكعباه فوثب ووقف: ودخل معهما الى الهيكل وهو يمشي ويطفر ويسبح الله وابصره جميع الشعب (١)

ومن شدة حنق الكهنة ومن معهم وضعوهما في سجن ففي هذه الحالة كان الايمان بيسوع يمتدّ بسرعة عجيبة ولم تمض برهة حتى تكامل عدد الرجال المؤمنين من اليهود خمسة آلاف نسمة (٢)

ولما أُخرج التلميذان من السجن وجيء بهما الى حنان وقيافا ومحفل عظيم من الوجهاء وسئلا هكذا: بأيّة قوة او بأي اسم صنعتما هذا (اعني شفاء المقعد) واجابهم بطرس قائلاً: فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب اسرائيل انه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم الذي اقامه الله من بين الاموات بذاك وقف هذا امامكم متعافياً فلما رأوا جرأة بطرس ويوحنا وعلموا انهما أميان وعاميان تعجبوا . . واذ نظروا الرجل الذي شفي واقفاً معهما لم يكن لهم شيء يقولونه في ذلك ثم تشاوروا فيما بينهم وأخيراً أمروهما بالاّ ينطقا البتة باسم يسوع ولا يعلّما به. فأجاب بطرس ويوحنا وقالا لهم: احكموا انتم ما العدل امام الله ان نسمع لكم ام نسمع لله فانا لانقدر ان لا نتكلم بما عاينّا وسمعنا (٣)

---

(١) اع ٣ : ١ الخ (٢) اع ٤ : ٤ (٣) اع ٤ : ٥ ـ ٢٢

فأين هذه القوة الخارقة العادة التي حصل عليها الرسل من ذلك الهلع والجبن اللذين كانا مستحوذين عليهم قبل قيامة مولاهم ؟ فلو لم يقم حقيقة ويمسّهم بنعمته ويملأهم من هبات روحه لما شوهد منهم مثل هذه الجسارة. لا ولا صدر عنهم مثل هذه المعجزة .

أيها الناكرو قيامة يسوع! أعقلوا الامر جيداً. انه بعد ماحدثت آية شفاء المقعد وآيات أخرى وكان المؤمنون بيسوع يزدادون يوماً فيوماً من رجال ونساء، نظراً لما كان الله يقرن دعوتهم به من المعجزات حتى ان الناس كانوا يأتون بالمرضى الى الشوارع على فرش واسرة ليقع ولو ظل بطرس عند اجتيازه على بعضهم فيبرأوا من كل علة بهم وكانوا يحملون المرضى والمجانين من المدن المحيطة بأورشليم الى حيث توجد الرسل وكانوا يشفون جميعهم بواسطتهم، تعصب رئيس الكهنة وسجن الرسل في الحبس العام فاطلقهم ملاك الرب ليلاً وأمرهم بالدخول الى الهيكل والمناداة بكلام الحيوة وقد حصل وطفقوا يعلمون نحو الفجر ولما اتضح الامر للمحفل تحير والي الهيكل ورؤساء الكهنة من ذلك ثم أحضروا لدى المحفل فتهددهم رئيس الكهنة من جهة البشرى والتعليم باسم يسوع :« فأجاب بطرس والرسل وقالوا: ان الله أحق من الناس بأن يطاع. ان إله آبائنا قد أقام يسوع الذي قتلتموه أنتم . . هذا رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً . . . ونحن شهود له بهذه الامور والروح القدس ايضاً.»[1]

فلما سمعوا ذلك استشاطوا وتشاوروا في قتلهم[2] لكن قام رجل معلم في الشريعة محترم عند الجميع فريسي يدعى جمليئيل . وأعطى رأياً

---

(١) اع ٥ : ١٢ — ٣٢ . (٢) اع ٥ : ٣٣

فاصلاً للنزاع وذلك انه حذّر قومه من معاكسة الرسل وذكرهم بأنه من قبل ذلك الوقت كان ظهر تاوداس (رجل مبتدع) وادعى بما ادعى وانضم اليه نحو اربعمائة رجل ثم قتل وتشتت شمل حزبه وبعد ذلك ظهر يهوذا الجليلي (مبتدع آخر) وخدع جمهوراً كبيراً ثم هلك وتبدد جميع تابعيه (قال) : «فالآن أقول لكم اعدلوا عن هؤلاء الرجال واتركوهم لانه ان كان هذا الرأي او هذا العمل من الناس فسوف ينتقض وان كان من الله فلا تستطيعون نقضه لئلا تصادفوا محاربين لله ايضاً . فارتضوا برأيه » .(١)

فسبيل الناكري قيامة يسوع ان يعتبروا هذا الرأي ويقدروه قدره ويختبروا الواقع . فان كانت دعوة الرسل بقيامة مولاهم لا حقيقة لها ولا هي من الله تعالى فتكون تلاشت وبادت من أصلها وان كانت حقيقية الهية فلا يمكن نقضها ولا بدّ من انتشارها وامتدادها وثباتها ودوامها .

فما هي الحقيقة اذاً ؟ ـ ألم تروا باعينكم وتسمعوا بآذانكم عن الهيئات النصرانية النامية المزهرة في جميع اقطار العالم ؟ ـ ألم تروا الممالك العظمى والدول الشهيرة والامم المتمدنة التي تسجد ليسوع وتعترف انه المسيح الحق وتنادي دائماً بقيامته المجيدة ؟

لعمري ان الرأي الذي قدمه ذلك الرجل العظيم جمليئيل لهو في غاية الإحكام ونهاية الصواب وقد يذكرنا بما أوحى به الله سبحانه لنبيه موسى مما يناسب هذا الغرض فانه تعالى قد ميّز المدعيّ النبوة كذباً والمتكلمين عن الله زوراً . قال : «اذا قام فيما بينكم متنبيء أو رائي حلم فاعطاكم آية او معجزة ولو تمت الآية أو المعجزة التي كلمك عنها وقال لك : تعال بنا الى

---

(١) اع٥:عد ٣٤ الخ .

آلهة غريبة لم تعرفها فتعبدها فلا تسمع كلام هذا المتنبيء او رائي الحلم فان الرب الهكم ممتحنكم . الرب الهكم تتبعون وتتقون ووصاياه تحفظون ولصوته تسمعون واياه تعبدون وبه تتشبثون وذلك المتنبيء أو رائي الحلم يقتل لانه تكلم ليزيغكم عن الرب الهكم الذي أخرجكم من أرض مصر وفداكم من دار العبودية ويغويكم عن الطريق التي أمركم الرب الهكم بأن تسيروا فيها . فاقلعوا الشر من بينكم »[١] .

وكذلك بعد ما خاطب موسى منبئاً له عن ظهور مسيحه بالجسد وانه سيكون وسيطاً لتبليغ اسرائيل الكلام الالهي وشارعاً شرع الكمال وان كل من يخالفه يدان[٢] . قال أيضاً عمن يتنبأ بالزور هكذا : « وأي نبي تجرأ فقال باسمي قولاً لم آمره أن يقوله أو تنبأ باسم آلهة أخر فليقتل ذلك النبي فان قلت في نفسك كيف يعرف القول الذي لم يقله الرب . فان تكلم النبي باسم الرب ولم يتم كلامه ولم يقع فذلك الكلام لم يتكلم به الرب بل لتجبره تكلم به النبي فلا تخافوه »[٣]

فمن هذا الاعلان الالهي يتميز صراحة من يدعي الرسالة أو النبوة كذباً ممن يكون داعياً بالحق وشارعا الهياً حقيقياً .

فالكذاب المزور يتميز بثلاثة أمور :

(أولها) كونه يجذب الناس الى عبادة غير الله تعالى

(ثانيها) انه لا بدّ من أن يقتل ويمحى أثره ويستأصل ذكره

(ثالثها) ان ما يتنبأ بحدوثه لا يتم كما تكلم ولا يقع كما أنبأ . وبعكس

---

(١) تث ١٣ : ١ — ٥ (٢) تث ١٨ : ١٥ — ١٩ (٣) تث ١٨ : ٢٠ - ٢٢ .

ذلك الشارع الالهي الصادق فانه انما يدعو الكافة الى الله تعالى وتعليمه يمتدّ ويثبت واسمه يزهو ويسمو وما ينبئ بحدوثه من قبل لا بدّ من ظهوره بالتمام.

فسبيل الناكري قيامة يسوع أن يعتبروا هذه القاعدة أيضاً التي عينها الحق في وحيه المقدس لنبيه موسى ويختبروا حالة سيدنا: هل دعا الناس لغير الله الحي الازلي؟ وهل تلاشى أمره ومحي شرعه؟ وهل لم يتم ما انبأ به ولم ينفذ كما قال؟ أما الاول فحاشاه من ذلك لانه لم يكن يدعو أحداً الا لعبادة الله الحق الخالق. وحسبنا اعتباراً أنه بعد ما اعتمد في الاردن وانعكف في الجبل أربعين يوماً صائماً مصلياً ليلاً ونهاراً ودنا اليه المحال ليجربه أبكمه بهذه الآيات الثلاث الشريفة:

(الاولى) «مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله»

(الثانية) «مكتوب أيضاً لا تجرب الرب الهك»

(الثالثة) «اذهب ياشيطان فانه قد كتب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد»[1]

وأول كلمة نادى بها على القوم هي: «قد تمّ الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل»[2]

ومن يتأمل للنص الانجيلي فيما يختص بارشاد السيد للناس الى الايمان بالله ومحبته وتعظيمه وعبادته باطناً ظاهراً وتجنب كل مايخالف أوامره لايحتاج بعد ذلك الى تبيين لا سيما ما جاء في خطابه المستطيل الذي علم به الجموع

---

(١) مت ٤: ١ - ١١ (٢) مر ١: ١٥

على الجبل في أول كرازته [١]

ان رجلاً من علماء الناموس الموسوي سأله مجرباً له يا معلم ما أعظم الوصايا في الناموس ؟. قال له يسوع : «أحب الرب الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك هذه هي الوصية العظمى والاولى » [٢]

هذا وان السيد كانت عواطفه دائماً متوجهة لتمجيد الله أبيه وتعظيمه. قال الانجيل: «وفي تلك الساعة تهلل يسوع بالروح وقال: اعترف لك يا أبت رب السموات والارض لانك أخفيت هذه عن الحكماء والعقلاء وكشفتها للاطفال. نعم يا أبت لانه هكذا حسن لديك كل شيء قد دفع اليَّ من أبي وليس أحد يعلم من الابن إلا الآب ولا من الآب الا الابن ومن يريد الابن أن يكشف له » [٣]

قال ذلك عند مارجع اليه الاثنان والسبعون تلميذاً [٤] الذي عينهم للبشرى بعد الاثني عشر الرسل وأعلموه بفرحٍ أن الشياطين أيضاً خضعت لهم باسمه الكريم وجاوبهم بألا يفرحوا بهذا بل يفرحوا بتخليد أسمائهم في ملكوت السموات [٥] حينئذٍ رفع التمجيد لله الآب قائلاً : «اعترف لك يا أبت الخ، موضحاً للعالم أن القوة التي أظهرها في تلاميذه أولئك الضعاف الأميين الذين هم كالاطفال بالنسبة للحكماء والعلماء ليست بغريبة عن الله الآب رب السموات والارض بل هي أفعاله نفسه لانه ليس بغريب عنه بل هو كلمته الازلي. وتأمل لما قاله ليلة آلامه وهو منفرد مع رسله خطاباً لله الآب قال: «يا أبت قد أتت الساعة فمجد ابنك ليمجدك ابنك كما أعطيته السلطان على

لاحظ (١) مت ٥ و ٦ و ٧ وغيره (٢) مت ٢٢ : ٣٥ ـ ٣٨ (٣) لو ١٠ : ٢١ و ٢٢
(٤) وقيل سبعون تلميذاً فقط (٥) لاحظ لو ١٠ : ١٧ ـ ٢٠

كل بشر ليعطي الحيوة الابدية لكل من أعطيته له. وهذه هي الحيوة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك والذي أرسلته يسوع المسيح. أنا قد مجدتك على الارض وأتممت العمل الذي أعطيتني لاعمله». الخ [١]

ولعل الجاحد يقول نعم دعا الناس الى الله وقدم المجد الى الله لكنه ادعى بأنه ابن الله الازلي. فاقول له هنا قولاً موجزاً:

ان الله الآب ذاته يرشدك إذ نادى من السماء بصوت عظيم مسموع مرتين:

(الاولى) والسيد في الاردن قال: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» [٢]

(والثانية) عند ما تجلى يسوع على الجبل وكان معه ثلاثة من رسله وظللتهم سحابة نيرة ونادى صوت من السحابة قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت فله اسمعوا» [٣]

والملائكة تسكتك، قال جبرائيل الملاك المبشر بالتجسد في خطابه للعذراء: «وها أنت تحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع وهذا سيكون عظيماً وابن العلي يدعى . . . . ان الروح القدس يحلّ عليك وقوة العليّ تظللك ولذلك فالقدوس المولود منك يدعي ابن الله» [٤]

وفي ليلة مولده تجلى ملاك الرب وبشر الرعاة بمولده هكذا: «انه قد ولد لكم اليوم مخلص وهو المسيح الرب. الخ» [٥]

ويوحنا بن زكريا يقنعك. قال: «وانا لم اكن أعرفه لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء هو قال لي: ان الذي ترى الروح ينزل ويستقر عليه

---

(١) يو ١٧ . (٢) مت ٣ مر ١ لو ٣ (٣) مت ١٧ (٤) لو ١: ٣١-٣٥
(٥) لو ٢: ٨ - ٢٠ .

هو الذي يعمد بالروح القدس وانا عاينت وشهدت ان هذا هو ابن الله»[١]

أخيراً اعمال المسيح نفسها تفحمك كما أفحم بذلك اليهود معاصريه قال: «فالذي قدسه الآب وأرسله الى العالم أتقولون له انك تجدف لاني قلت أنا ابن الله. ان لم أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي وان عملت فان لم تريدوا أن تؤمنوا بي فآمنوا بالاعمال لتعلموا وتؤمنوا أن الآب فيّ وانا في الآب»[٢]

فما أبهى الحق وما أجلّ حكم النظر السليم الخالص من عمى التعصب والكفران! ان الرجل الذي كان مولوداً أعمى وفتح السيد عينيه الوارد خبره واضحاً في الانجيل الشريف[٣]. قال في محاورته للفريسيين الذين كانوا ينكرون على صدق دعوة السيد: «ان في هذا عجباً انكم لا تعرفون من أين هو وقد فتح عيني. ونحن نعلم أن الله لا يسمع للخطاة ولكن اذا أحد اتقى الله وعمل مشيئته فانه يستجيب له. ولم يسمع منذ الدهر ان أحداً فتح عيني من ولد أعمى فلولا ان هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً»[٤]

ثم قابله السيد وقال له: «أتؤمن أنت بابن الله؟ فأجاب وقال: ومن هو ياسيد لأومن به. قال له يسوع: قد رأيته وهو الذي يكلمك. فقال له: قد آمنت يارب وسجد له»[٥]

وأما الثاني وهو فيما اذا كان تلاشى أمر السيد المسيح واضمحلت دعوته من الوجود فالامر أبهى من الشمس. وذلك انه وان يكن ذاق الموت بجسده لكنه قام حياً بقدرته وبشرت بقيامته الملائكة كما بشرت

---

(١) يو ١ : ٣٣ و ٣٤ (٢) يو ١٠ : ٣٦ ـ ٣٨ (٣) يو ٩
(٤) يو ٩ : ٣٠ ـ ٣٣. (٥) يو ٩ : ٣٥ ـ ٣٨

بمولده. قال الملاك مخاطباً للنسوة اللواتي أتين الى قبره صبيحة الأحد أعني ثالث يوم لموته ومعهنّ حنوط ليطيبنه وكن خفن من منظر هذا الملاك والملاك الآخر اللذين وجدنهما عند قبره: «لاتخفن أنتن قد علمت أنكن تطلبن يسوع المصلوب انه ليس ههنا فانه قد قام كما قال. تعالين وانظرن الى المكان الذي كان مضجعاً فيه الرب واسرعن واذهبن وقلن لتلاميذه: انه قد قام وهو يسبقكم الى الجليل وهناك ترونه. ها أنا قد قلت لكنّ» (١)

ومن بعد تردده على تلاميذه نحو أربعين يوماً صعد الى الاعالي بجسده وبعد صعوده أخذ اسمه يتمجّد ودينه يمتد وينتشر في أقطار العالم ولم يزل ولن يزال ثابتاً الى الابد.

ولكن ربما يقول الناكرو قيامته: ها مسيحكم قتل. فلو كان هو مسيح الله بالحق لما كان صلب وقتل؟ فالجواب: نعم انه صلب ومات لكن ذلك لا يسلب مجده البتة ولا يمسّ شرفه الرفيع مطلقاً.

(اولاً) ان الصالحين الخواص اذا قتلوا ظلماً لا سيما اذا كان ذلك لاجل الحق ونصرته فموتهم لا يبخس شرفهم بل يزيدهم رفعةً لدى الله تعالى والمؤمنين. ألم تر ان هابيل الصديق قتله شقيقه قايين حسداً وظلماً؟. (٢)

وألم ترَ ان زكريا بن يوياداع الحبر قتل رجماً بأمر يواش الملك حالما انه كان يعظ الشعب بما ألهم به من روح الله؟ (١)

وألم ترَ ذلك الشيخ الجليل اليعازر الوارد خبره في سفر المكابيين الثاني كيف انه لما أجبر على مخالفة الشريعة بالأكل من لحوم الضحايا

---

(١) مت ٢٨: ٥ - ٧ مر ١٦ لو ٢٤ يو ٢٠ (٢) تك ٤ (٣) ٢ اي ٢٤

الكفرية وتوعد بالقتل، لم يقدم على مخالفة الناموس البتة حتى ان الموكلين من قبل الملك بأمر الضحايا، قالوا له سرّاً أن يأكل من اللحوم المحللة في شريعته ويتظاهر بأنه يأكل من الضحايا المأمور بها من الملك لينجو من الموت فلم يقبل بالنفاق. ومما قاله: «لا يليق بسننا الرياء لئلا يظن كثير من الشبان أن اليعازار وهو ابن تسعين سنة قد انحاز الى مذهب الاجانب ويضلوا بسببي لاجل رياءي وحبي لحيوة قصيرة فانية فأجلب على شيخوختي الرجس والفضيحة. فاني ولو نجوت الآن من نكال البشر لا أفرّ من يدي القدير لا في الحيوة ولا بعد الممات.. فتحول أُولئك الذين أبدوا له الرأفة قبيل ذلك الى القسوة.. ولما أشرف على الموت من الضرب تنهّد وقال: يعلم الرب وهو ذو العلم المقدس اني وأنا قادر على التخلص من الموت أكابد في جسدي عذاب الضرب الاليم. وأما في نفسي فاني احتمل ذلك مسروراً لاجل مخافته». وهكذا قضى هذا الرجل تاركاً موته قدوة شهامة وتذكار فضيلة لأمته باسرها (١)

فاعجب بها من شهامة وانتصار للحق وقدوة للرسوخ على الدين. واعجب من ذلك خبر السبعة الاخوة المكابيين وأمهم الذين قبلوا بالقتل الذريع بحضرة الملك واحداً بعد واحد واخيراً والدتهم تلك التي كانت تحرّضهم على الثبات في طاعة الله حتى قتلوا وقتلت بعدهم جميعاً في سبيل طاعة الحق سبحانه. ومما قاله أصغرهم الذي قتل في آخر اخوته قبيل موته: ولقد صبر اخوتنا على ألم ساعة ثم فازوا بحيوة ابدية وهم في عهد الله.. وأنا كأخوتي أبذل جسدي ونفسي في سبيل شريعة آبائنا وابتهل الى الله ان

---

(١) ٢ مكا ٦: ١٨ الخ.

لا يبطىء في توبته على أُمتنا»[١]

وكذلك العظيم يوحنا بن زكريا الكاهن الذي سجنه هيرودس الملك نظراً لكونه كان يوبخه على مخالفة الشريعة من جهة زواجه بهيروديا امرأة أخيه وأخيراً قتله بحد السيف[٢]

فهل نقص شرف هؤلاء الافاضل بقتلهم ظلماً؟ كلاَّ! وانما الذي سلب شرفهم وحاق بهم الانتقام الالهي هم القتلة الظالمون . . وناهيك من ان هؤلاء الابطال الافاضل لا سيما المجاهدين عن الحق لم يقبلوا الموت قتلاً حباً في خيرهم الابدي فقط بل وتأييداً للحق ونصرة للدين وقدوة للمؤمنين. فبناء على ذلك بطل تعلل الجاحدين بموت سيدنا مصلوباً. على أن أولئك الافاضل الذين ماتوا في سبيل الحق وان كانوا فازوا بالأجر الابدي والحيوة السعيدة عند ربهم الا أنهم في بعد بعيد في المنزلة عن سيد الكل مخلصنا. لانه نعم ذاق الموت مثلهم بجسده الزكي، الا أنه كان حياً بلاهوته. ومن ثمَّ فقد انتصر على شوكة الموت بقدرته ونهض حياً بخلافهم الذين بليت أجسادهم في التراب . ولهذه النكتة قد خطب الرسول بطرس على اليهود قائلاً هكذا . : «لان داود يقول فيه : كنت أبصر الرب أمامي في كل حين فانه عن يميني لكي لا أتزعزع لذلك فرح قلبي وابتهج لساني وجسدي أيضاً سيسكن على الرجاء لانك لا تترك نفسي في الجحيم ولا تجعل قدوسك يرى فساداً . قد عرفتني سبل الحيوة وستملأني فرحاً من وجهك »[٣]

« أيها الرجال الاخوة أنه يسوغ أن يقال لكم جهراً عن داود . . انه قد مات ودفن وقبره عندنا الى اليوم. فاذا كان نبياً . . سبق فأبصر وتكلم

---

(١) لاحظ ٢ مكا ٧ . (٢) مت ١٤ . (٣) مز ١٥.

عن قيامة المسيح الخ »[١]

وبذلك أوضح لليهود أن النبي داود ما قال هذا عن شخصه بل نبوة عن قيامة سيدنا بدليل أن قبر داود كان موجوداً حين ذاك ويمكن تحقيق فناء جسمه في القبر قال الرسول : «فمن يقضي علينا المسيح هو الذي مات بل قام أيضاً وهو عن يمين الله وهو يشفع أيضاً فينا»[٢]

(ثانياً) ان موت السيد الذي يتعلل به الجاحد قيامته هو عين الشرف وكمال الفخر كما يكرز عن ذلك الرسول قائلاً : « فان كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله .. لان اليهود يسألون الآيات واليونانيين يبتغون الحكمة .. اما نحن فنكرز بالمسيح مصلوباً .. اما المدعوين من اليهود واليونانيين فالمسيح قوة الله وحكمة الله »[٣]

ولذلك لم يصمت الوحي الرباني في العهد العتيق عن الانباء بموت السيد الفادي من قبل ذلك بمئات من السنين. وقد مر ذكر شيء من ذلك. ومما يناسب المعنى أيضاً ما قاله النبي المرتل[٤] عن آلام المخلص وموته هكذا : «قد أحاطت بي عجول كثيرة ثيران باشان اكتنفتني»[٥] «يبست كالخزف قوتي ولساني لصق بحنكي والى تراب الموت تحدرني»[٦] «يقتسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون »[٧] .

وحسبنا مراجعة ما أوردته قبلاً عن نبوتي اشعياء ودانيال[٨] المصرح فيهما بآلام المسيح وموته بالصليب وانتصاره على الموت وثبات مملكته الروحية

---

(١) اع٢:٢٥ — ٣١ (٢) رو ٨ : ٣٤ (٣) ١ كو ١ : ١٨ و ٢٢ و٢٤
(٤) مز ٢١ (٥) مز ٢١:١٣ (٦) مز ٢١:١٦ (٧) مز ٢١: ١٩ (٨) اش٥٣ ودا ٩

في العالم الانساني . فان يستحي اذاً من صلبه وموته الا من يستحي من تصديق وحي الله .

ولعل الجاحدين يتعللون علينا قائلين : سلمنا أن قبول الصالحين القتل ظلماً مراعاة لجانب الحق يعدّ فضلاً ويحسب شرف نفس وشهامة قلب وقدوة حسنة . لكن مسئلة يسوع غير ذلك لان أولئك الصالحين الذين قتلوا في جانب التقوى والدين لم يخرجوا عن كونهم بشراً مخلوقين . . .أما يسوع فانكم تدعون انه ابن الله وكلمته الازلي فكيف مع ادعائكم بذلك تقولون انه مات مصلوباً وكيف يصلب ويموت من هذه صفته ؟

فالجواب: نعم! انه ابن الله العلي وكلمته الازلي كما أشير عن ذلك وأقيمت الحجة عن تحقيقه في هذا القسم [١] انما قاطبة النصارى الذين وجدوا وموجودون الآن وسيوجدون في العالم لا يقولون ولا يشيرون ولا يفكرون البتة بأنه له المجد ظهر في العالم مجرداً. اي جاء الى الدنيا بلاهوته فقط بدون انسانية كاملة حتى يعترض على اعترافنا بموته. بل قولنا معاشر المسيحيين واقرارنا واعتقادنا وكرزنا تبعاً لحقيقة الامر وتطبيقاً لآيات كتاب الله المقدس الصريحة هو انه تجسد وتأنس حقيقة وفعلاً .وقد تقدم تقرير هذا المعنى بكل صراحة في القسم الاول من هذه الرسالة [٢] فاذاً لا غرابة في قبوله التألم والموت بجسده الذي اتخذه من السيدة العذراء كما تبين ذلك أيضاً في القسم المذكور [٢] وبناء عليه قد هدم هذا الاعتراض من أصله

فان كرروا التعلل وغيّروا صفة التقول وقالوا لا ننكر الموت على انسان محدث بل ننكر عليكم الاعتقاد بكون هذا الشخص إلهاً متجسداً

---

(١) صفحة ٨٦و٨٧ (٢) صفحة ٦٣ الى ٦٧ (٣) صفحة ٦٩ الى ٧٢

أو كلمة الله الازلي المتأنس. قلنا قد سبق تقديم البرهان الساطع على اثبات كون هذا الشخص الذي تألم وصلب الخ. إلهاً حقيقياً متجسداً [١] ومضافاً على ذلك نقول ان هذا الانكار لا يتوجه ضدنا خاصة بل يتجه نحو الله تعالى ووحيه المقدس وصدق أنبيائه وحقيقة الامر . . قلنا نحو الله تعالى لان الانكار على ظهور كلمة الله متجسداً انكار على قدرته الازلية الغير محدودة كأنه يمتنع عليه تعالى الظهور لخلقه محتجباً بصورة بشرية وهو هو باقٍ في مجده وربوبيته غير متغير ولا محدود بلاهوته. على انّا قد رأينا من سياسته انه تعالى ظهر لآدم وحواء أبوينا كشخص ماشٍ وسمعا صوته سائراً في الفردوس [٢]. وتجلى لابراهيم في منظر ثلاثة رجال [٣]. وتجلى ليعقوب في الرؤيا على رأس سلم [٤]. وتجلى له أيضاً كأنسان يجاهده ليلاً الى الفجر [٥]. وظهر لموسى كنارٍ تضطرم في عليقة ولم تحترق [٦]. وتجلى له أيضاً في الغمام برعود وبروق وأصوات شديدة [٧]. وغير ذلك ايضاً. وتجلى لدانيال على هذه الصفة. قال النبي: «وبينا كنت أرى اذ نصبت عروش فجلس القديم الأيام وكان لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار . . . . . ورأيت في رؤى الليل واذا بمثل ابن البشر آتياً على سحاب السماء فبلغ الى القديم الأيام وقرب الى امامه وأُوتي سلطاناً ومجداً وملكاً فجميع الشعوب والامم والالسنة يعبدونه وسلطانه سلطان أبديّ لا يزول وملكه لا ينقرض.» [٨] وتجلى لغير هؤلاء ايضاً بأنواع كثيرة. فان كانت سياسته اقتضت ظهوره لعبيده المشار

---

(١) راجع صفحات ٦٥-٦٧ و ٨٦ و ٨٧ (٢) تك ٣ (٣) تك ١٨ (٤) تك ٢٨
(٥) تك ٣٢ (٦) خر ٣ (٧) خر ١٩ (٨) دا ٧ : ٩ و ١٠ و ١٣ و ١٤

اليهم في هيئات شخصية متنوعة لاسباب خصوصية ، أفيمتنع على قدرته تعالى وجوده المطلق ان يظهر لخلقه بسر التأنس الحقيقي لا لسبب مفرد بل لخير عام وجود طام؟ اذ بتجسده المنيف :

(أولاً) تشرّف النوع الانساني.

(ثانياً) تبرر من تبعة الخطيئة الجدية وافتدى من الموت الروحي بموت السيدُ المحي .

(ثالثاً) فاز بكمال الارشاد وحصل على شرع البر والكمال بواسطة ابن الله المتجسد مباشرة وحظي بمواهب رفيعة أعني الاسرار المنيفة التي لو لم يتجسد لما كان النوع يفوز بها .

(رابعاً) تأهل للتمتع بالملك الدائم في السعادة الخالدة .

كل ذلك وما يترتب عليه هو من ثمرات التجسد المجيد. ومع ذلك لم تكن التجليات المثني عنها وامثالها هي غاية دلائلنا على صحة التجسد بل ان الوحي الالهي الصريح قد شهد عن ذلك ايضاً . فالناكر تجسد الكلمة الازلي انما يعارض ايضاً الوحي الرباني . وقد رأيت مما جاء في القسم الاول[1] بعض النصوص المقدسة الصادرة في كتاب الله اعني العهد العتيق ـ الكتاب الذي لا يعتبره المسيحيون فقط بل يعتبره اليهود انفسهم بأنه كتابهم الخاص الرباني ـ ان الوحي الالهي ينبيء عن مولد السيد من العذراء وانه يدعى عمانوئيل[2] الذي ترجمته الله معنا . وينبيء ايضاً عن موضع مولده بالجسد حالة كونه بلاهوته قديماً أزلياً .[3] الى غير ذلك مما جاء به النص المعترف بصدقه شعب اليهود .

---

(١) صفحة ٦٣ـ٦٥ (٢) اش ٧ : ١٤ (٣) مي ٥ : ٢

ولا بأس الآن من ذكر بعض ايات أخرى لعلها تزيد المكابر خجلاً.

قال الله بفم النبي والملك في سفر الزبور: «اني مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي لاخبرن بحكم الرب. قال لي انت ابني أنا اليوم ولدتك سلني فأعطيك الامم ميراثاً لك واقاصي الارض ملكاً لك ترعاهم بعصا من حديد وكاناء خزاف تحطمهم. فالآن أيها الملوك تعقلوا واتعظوا يا قضاة الارض اعبدوا الرب بخشيةٍ وابتهجوا برعدةٍ قبلوا الابن لئلا يغضب فتهلكوا. الخ»[١]

فمن تراه يكون هذا الموعود بأنه يمسح ملكاً وهو ابن الله الذي يسود على جميع الامم ويمتد ملكه لاقاصي العالم ويرعى الشعوب بقوة منيعة.. وتتعبّد له الممالك بخوف واحترام خشية من انتقامه الصارم. هل من هذه صفته يكون انساناً اعتيادياً مجرداً من القدرة الازلية، أم بالحري كلمة الله القديم ووحيده الذي اتخذ الانسانية ودعي ابن البشر ورآه في الرؤيا الربانية نبيه دانيال؟

وقال الوحي بفم هذا النبي أعني داود أيضاً: «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك»[٢]

ان فيما كان كبار اليهود مجتمعين بالسيد قبيل آلامه يحاورونه سألهم هكذا قائلاً: «ماذا تظنون في المسيح ابن من هو. قالوا له ابن داود. فقال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح ربه حيث يقول: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك. فان كان داود يدعوه ربا فكيف يكون هو ابنه» (قال الانجيلي): «فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة»[٣]

---

(١) مز ٢: ٦ ـ ١٢ (٢) مز ١٠٩: ١ (٣) مت ٢٢: ٤١ الخ

لعمر الله أن هذا البرهان الصادر من الفم الالهي ذاته لهو بمفرده كافٍ لابكام المعترض

وقال الوحي بفم أشعيا النبي هكذا: «لانه قد ولد لنا ولد اعطي لنا ابن فصارت الرئاسة على كتفه ودعي اسمه عجيباً مشيراً الهاً جباراً أبا الابد رئيس السلام لنمو الرئاسة ولسلام لا انقضاء له على عرش داود ومملكته ليقرها ويوطدها بالانصاف والعدل من الآن الى الابد. ان غيرة رب الجنود تصنع هذا»[١]

فحقاً ليس هذا الابن المشار اليه بهذه الصفات بالوحي الالهي الا عمانوئيل نفسه الذي أنبأ به الوحي بفم هذا النبي ايضاً في محل آخر وقد سبق ذكره بأنه يولد من العذراء. إيٍ نعم هوذا. والاسم العجيب (يسوع) الذي ترجمته المخلص وهو ابن العلي القدير ذو الملك الروحاني الذي لاينقضي. ومن يروم تفسير هذا النص النبوي فعليه ان يستفهم من جبرائيل العظيم ملاك الله ليرى كيف بشر البتول السيدة بمولده منها. وهناك يرى المطابقة العجيبة[٢]

وقال الوحي الالهي ايضاً بفم ارميا النبي: «ها انها ستأتي ايام يقول الرب اقيم فيها لداود نبتاً صديقاً ويملك ملك يكون حكيماً ويجري الحكم والعدل في الارض. وهذا اسمه الذي يدعى به الربّ برنا»[٣]

فمن هذه الايات الصريحة المقدسة وما سبق ايراده ايضاً يتضح جلياً ان الوحي الالهي انبأ على أفواه الانبياء القديسين بأن ابن الله الذي هو الرب القدير الجبار ابو الابد ورئيس السلام وملك الممالك سيولد على الارض

---

(١) اش ٩ : ٦ — ٧ (٢) لو ١ : ٣١ — ٣٣ (٣) ار ٢٣ : ٥

من بتول عذراء ويسود بشرعه الالهي ولا يكون لسلطانه انقضاء.

فاذاً من يكابر في الوهية يسوع المسيح لا يعارضنا فقط بل يكابر حكم الوحي الالهي ذاته. وبالتالي يكون منكراً على صدق انبياء العلي ومكابراً لحقيقة الامر، اذ السيد لم يدّعِ بالبنوة لله دون دلائل ساطعة، بل انه فضلاً عن شهادات الوحي السابقة عهد تجسده شهد له الله الآب وروح الله القدوس والملائكة والصالحون وشهدت له اعماله المعجزة الناطقة بأنه الابن الحقيقي الوحيد.[1] لا بل ان المعجزات التي ظهرت منه حال صلبه وموته وقيامته بمفردها هي كافية لاثبات عظمة مجده. وليس من بعد الانكار على قدرة الله ووحيه المقدس وصدق انبيائه وحقيقة الامر من ضلال ولا كفران.

واما الوجه الثالث وهو فيما اذا كان ما انبأ به السيد المسيح لم يتم فعلاً كما انبأ، فنقول:

اننا لو استقرينا مفردات نبوات سيدنا التي صرح بها من قبل وتمّت بالفعل كما قال لا تسع بنا المجال. وانما نجتزيء هنا بذكر القليل الدالّ على الكثير.

فمن ذلك أنه أنبأ رسله بالتفصيل عمّا سيقع لشخصه الكريم من الآلام والصلب والموت والقيامة مرات كثيرة. وقد تمّ ما أنبأ بوقوعه على غاية المطابقة. وقد جاء ما يكفي عن ذلك في القسم الاول من هذه الرسالة.[2]

ومن ذلك أنه أنبأهم أيضاً ليلة آلامه بأنهم سيشكون فيه وان أحدهم الرسول بطرس ينكره فقال: «كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة لانه مكتوب اضرب الراعي فتتبدد خراف رعيته (هذه الآية التي أشار اليها المخلص

---

(١) راجع صفحة ٨٦ و٨٧ (٢) صفحة ٧٠ و٧١

نطق بها الوحي من السابق بفم النبي زكريا[١] (قال السيد:) «ولكن متى قمت أسبقكم الى الجليل. فأجاب بطرس وقال له: لو شكّ فيك جميعهم لم أشك أنا. فقال له يسوع: الحق أقول لك انك في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات»[٢]

ومن يطالع تاريخ آلام السيد وصلبه على ماجاء في الانجيل،[٣] يتحقق جيداً تمام ما انبأ به السيد من جهة ارتياب رسله فيه وهروبهم وبعدهم عنه وخوفهم الزائد وجحود بطرس احدهم تلمذته اليه حتى معرفته أيضاً.

ومن ذلك انه أنبأ يهوذا احد الاثني عشر بانه سيكون الدافع لمولاه لايدي اليهود[٤] وقد تمّ ذلك كما انبأ السيد[٥].

ومن ذلك انه انبأ رسله ايضاً بما سيكون لهم في العالم حال البشرى باسمه من الضيق والمقاومة والاضطهاد بالسجن والضرب وما اشبه.[٦]

ومن يتأمل في سفر اخبار الرسل، يتبين له كيف كان حالهم مع أهل العالم ـ سواء كانوا من اليهود أو من غيرهم ـ من الاهانات والاضطهادات المرّة المتنوّعة وهم مع ذلك ناجحون في البشرى بسرّ من قال لهم: «انكم في العالم ستكونون في ضيق ولكن ثقوا فاني قد غلبت العالم»[٧].

ومن ذلك انه مع ما أنبأهم به من جهة ما يصيبهم من الاضطهادات الفادحة، أنبأهم بأن بشراه وان كانت تبتدئ بهيئة جزئية اي من هؤلاء القليلي العدد العديمي القوة العالمية المجردين من الغنى والحكمة الزمنيين فانها تمتد وتتعاظم بهذا المقدار حتى انها تصير مثل حبّة خردل وهي اصغر

(١ زك ١٣: ٧ (٢) مت ٢٦: ٣١ـ٣٤ (٣) مت ٢٦ و ٢٧ (٤) مت ٢٦: ٢٠ـ٢٥
(٥) مت ٢٦: ٤٧ (٦) مت ١٠: ١٧ و ٢٤: ٩ (٧) يو ١٦: ٣٣

الحبوب ومتى زرعت نمت اكبر من جميع البقول ثم تصير شجرة شاهقة تستظل الطيور في اغصانها،[١] . معيّناً لهم ان الايمان باسمه لا ينحصر في جهة واحدة بل يمتد في المشارق والمغارب[٢] . وان المؤمنين لا يكونون من جنس اليهود فقط بل ومن غيرهم ايضاً .[٣]

والعجيب انه ليلة آلامه حالة كون الظرف حرجاً بالنسبة للاحوال الاعتيادية البشرية ، كان له المجد على منزع آخر من اظهار بدائع الحكم والانباء بالغيب والوعد بما سيفوز به رسله من مواهب الروح القدس والارشاد العجيب البليغ فيما يختص بصدوره الازلي من الآب وانبثاق الروح القدس منه أيضاً (اي من الآب) ووحدة الثالوث في الجوهر الإلهي ووجوب محبة هذه الذات العلية ومحبة المؤمنين بعضهم بعضاً وفوائد ظهور الروح للرسل، الى غير ذلك من غرائب الحكم، مما يبرهن على سمو شأنه ورفيع مقامه، وانه انما تقدم لقبول الآلام والصلب اختياراً لاقهراً ولحكمة لا عبثاً.[٤] ومما جاء في ذلك الخطاب المستطيل مما يختص بالبشرى به قال للرسل : «لستم أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتنطلقوا وتأتوا باثمار وتدوم اثماركم »[٥] وفعلاً انه بعد قيامته المجيدة فوّضهم سلطان الرسالة العامّة قائلاً : «اني قد أعطيت كل سلطان في السماء والارض اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به وها أنا معكم كل الايام الى منتهى الدهر»[٦] .

---

(١) مت ١٣ : ٣١ و ٣٢ (٢) مت ٨ : ١١ (٣) يو ١٠ : ١٦

(٤) راجع يو ١٣ : ٣١ الى ص ١٧ (٥) يو ١٥ : ١٦ (٦) مت ٢٨ : ١٨ - ٢٠ ومر ١٦ : ١٥

وبالحقيقة قد جالوا في اقاصي العالم مبشرين باسمه وناشرين ألوية انجيله محققين ذلك ببرهان الروح التي هي المعجزات الخارقة باسم مولاهم. قال الانجيل»: فخرج اولئك وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التي كانت تقارنه»[١]

وفعلاً أتوا بأثمار مباركة ودامت ثمارهم طبق ما وعد. وللآن وغد الى منتهى العالم لا تزال اثمارهم دائمة مزهرة التي هي الشعوب المسيحية المعترفة بألوهية يسوع المسيح. فهذا بعض ما انبأ به ونجز فعلاً كما أنبأ.

ولا يفوت المطلع ان يتذكر انباءه الصريح بما كان مزمعاً حدوثه باورشليم عاصمة اليهود وهيكلهم المشهور المشيد وشعب اليهود انفسهم من الدمار والشتات وقد وردت الاشارة عن ذلك في القسم الاول.[٢]

وفي هذا القدر الكفاية.

(ثالثاً واخيراً)

اما من جهة ان قيامة فادينا هي ككنز ابرز ذخائر رفيعة، فضلاً عمّا تقدم ذكره مما اوضحته قيامة مخلص الكل من الاسرار الباذخة والحكم البالغة من حيثية كونها قد شهدت بجلال ربوبيته ورفيع قدرته وعجيب تنازله ووفور جوده وغزارة رأفته بخلقه وتحقيق تجسده وكمال تأنسه وسمو تدبيره وحكمة سياسته وسناء مواهبه وسرائره[٣] الروحية الممنوحة لعبيده مع عضد رسله وخواصه بالقوى السامية والمواهب المتنوعة ونفوذ سطوة بشرى انجيله واتساع مملكته الروحانية اعني امتداد ديانته الالهية في أقطار العالم وثباتها ودوامها برعيه، مع ذلك فان قيامته ايضاً أرتنا قيامتنا العامة وحققت آمالنا بالذات

---

(١) مر ١٦ : ٢٠ (٢) صفحة ٧٣ (٣) اسراره

إذ انه بذوقه الموت وقيامته حياً ظافراً بالموت وحاطماً شوكته وبارتقائه الى أعالي السموات بجسده الأقدس حقّق لنا بالفعل قيامة العموم قيامة لا يعقبها موت البتة. كما أنه قام من بين الاموات مرةً واحدةً وصعد الى سماء السموات ويدوم حياً في مجده الى آباد الآباد. قال الرسول: «فان كنا قد متنا مع المسيح نؤمن انّا سنحيا أيضاً معه. إذ نعلم ان المسيح من بعد ان أقيم من بين الاموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت من بعد، لانه من حيث انه مات فقدمات للخطيئة مرةً وأما من حيث انه يحيا فيحيا لله»[١]

وقال ايضاً: «فانّا ان كنا نؤمن ان يسوع قد مات ثم قام فكذلك سيحضر الله الراقدين بيسوع معه»[٢].

وناهيك من ان القيامة العامة هي غاية الآمال ومحط رحال الكمال، هي رجاء النفس المتحملة المشاقّ والمستسهلة تلقي المصاعب محبةً في الحق واكراماً لشأن البرّ، هي عزاء القلوب الصبورة على مضض البلايا امتثالاً للحكمة وايثاراً للطاعة، هي مورد خير الجزاء لمن عزز جانب التقوى على ملاذ الدنيا ونعيمها، هي نقطة الفوز بجميل المكافأة لمن لم يبع الهدى بالضلال، والحق بالغرور، والكمال بالخسة، والشرف بالدناءة، والقداسة بالعهارة، والايمان - أس كل صلاح - بالكفران - جرثومة كل شر وطلاح - هي ميقات توزيع الاجور العادلة لاصحاب المبرات العامة وناظمي عقود الخيرات الدائمة. هي الحد الذي يستوفي فيه كل مظلوم غاية الانصاف والمركز الذي يتوّج فيه ذوو العدالة باكلّة الثناء وسني البهاء فوق ما يبتغون من جميل الثواب وما يؤملون. فلو لم تكن القيامة العامة المنتظرة

---

(١) رو ٦ : ٨ - ١٠ (٢) ١تس ٤ : ١٣

المرجوة بلواحظ الايمان حقيقية، لما وجدت الديانة الحقّة ولا انتظم الناموس الالهي . وان لم توجد الديانة ولا الناموس فلا كمال يؤمل ولا آداب ترجى ولا انتظام ينتظر، بل ولا حكمة صادقة ولا انصاف صاف ولا تدبر كاف . اذ لا يكون رادع لاهواء النفس الميّالة الى البطل ولا كابح لجموح الشهوات الجاذبة الى البوار ولا زاجر لاحتدام الغضبية القائدة الى الاخطار ولا مسعف لانتشال العقل من الاستغراق في بحار الاضاليل ولا واعظ موقظ للنفس لتستفيق من سكرة الرذائل وتجدّ في ادراك محجة الفضائل. وبالجملة قد يمسي كل انسان اسير هواه غير مرتبط بقانون يهذبه ولا واقف عند حد أمين يضبطه، شارداً عن تحصيل المحامد التي هي خير النفس الحقيقي، نائياً عن حسن التعلق بواجب الوجود الذي هو السعادة المحضة واصل كل خير وصلاح ـ جلّ وتبارك ـ يمرح كيف يشاء ويطمح فيما يشاء ويستميح ما يشاء ويستقبح ما يشاء . اذ كان لا عودة بعد الفوات ولا مزية للفضيلة على السيئات ولا مكافأة على حسن السبيل ولا مجازاة للكبائر .

وما اعجب ما قاله صاحب فصل الخطاب رسول المسيح ومعلم الامم: «ان كان الاموات لا يقومون فلنأكل ونشرب فانا غداً نموت»[1] .

فالرسول كأنه يهزأ بهذا الزعم الفاسد ويقول لمنكري القيامة ان كان الامر على ماتتوهمون وليس ثَمَّ قيامة ولا مجازاة كأني بالنوع الانساني مع ماهو ممتاز به بالشرف العقلي والذوق النطقي لم يترجح عن الحيوانات العادمة النطق بشيء ومصيره كمصيرهم ونهاية امره على حد نهايتهم. فلماذا اذاً نجدّ في اكتساب المزايا ونودّ الاتصاف بالمحامد ونفرّ عن المساوئ

---

(١) ١ كو ١٥ : ٢٤

ونتبرأ من الانتساب للرذيلة. بل وكيف نخجل من الفحشاء ونفخر بالحسناء ان كان مرجعنا مرجع البهائم. فلنجتذبن اذاً بمجرد الاكل والشرب ولنستغرق في شؤون الجسديات لاغير. ولكن اذ كان هذا الزعم باطلاً وهذا الوهم ساقطاً تأمّل كيف يتدارك هذا الضلال على الاثر قائلاً: «لا تضلوا ان العشرة الرديئة تفسد الاخلاق السليمة استفيقوا للبرّ ولا تخطئوا فان قوماً لا معرفة لهم أقول ذلك لاخجالكم. ولكن يقول قائل: كيف يقوم الاموات وبأي جسد يبرزون. ياجاهل ان ماتزرعه انت لايحيا الا اذا مات وماتزرعه ليس هو ذلك الجسم الذي سوف يكون بل مجرد حبّة من الحنطة مثلاً أو غيرها من البزور الا ان الله يجعل لها جسماً كيف شاء ولكل من الزروع جسمه المختص به».[١] ـ وهذا التعليم الرسولي يطابق ماقاله السيد له المجد: «الحق الحق اقول لكم ان حبّة الحنطة التي تتمتع في الارض ان لم تمت فانها تبقى وحدها وان ماتت اتت بثمر كثير»[٢] ثم قال الرسول منبئاً عن سر القيامة العامة هكذا: «وها انا اكشف لكم سرّاً انّا سنقوم كلنا ولكن لانتغير كلنا في لحظة وطرفة عين عند البوق الاخير فانه سيهتف فيقوم الاموات عادمي الفساد ونحن نتغير»[٣] (لاحظ ماقاله ايضاً سيدنا له المجد).[٤]

ثم ختم الرسول خطابه عن القيامة في هذه الرسالة هكذا: «فشكراً لله الذي منحنا الغلبة بربنا يسوع المسيح. اذن ياإخوتي الاحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مستزيدين في عمل الرب كل حين. اذ تعلمون ان تعبكم ليس

---

(١) ١كو ١٥: ٣٣ — ٣٨ (٢) يو ١٢ : ٢٤ (٣) يو ١٢: ٥١ و ٥٢
(٤) مت ٢٤ : ٣٠ و ٣١ ويو ٥ : ٢٥

بباطل في الرب»[١] ومماقاله في رسالته الثانية الى اهل قرنثية ايضاً عن هذا الصدد هكذا: «فلذلك نحرص ان نرضيه مستوطنين كنا أو متغربين. لانَّا جميعنا لابدَّ من ان نظهر امام منبر المسيح لينال كل واحد على حسب ماصنع بالجسد خيراً كان او شرًّا»[٢]

فالقيامة العامة التي يرجوها المؤمنون ويهشّ نحوها المحققون ويطرب من ذكراها العابدون المفلحون قد اعلنتها لنا بالذات قيامة فادينا حياً بجسمه الاقدس من بين الاموات ذلك الذي نرجوه ان يمنّ على جميع المسيحيين بحيوة ميمونة سعيدة مهنئين دائماً ببهجة مواسم اعياده السنية متهللي الافئدة باسمي الثغور بحبور قيامته المجيدة. له المجد مع الآب الصالح والروح القدس المحيي دائماً سرمداً آمين.

---

(١) ١كو ١٥: ٥٧ و ٥٨ (٢) ٢كو ٥: ٩ و ١٠

﴿ ملاحظة ﴾ لما طبعت المجموعة المحتوية على خطبتي الميلاد والقيامة معاً بعث المؤلف منها مع كتابي نفح العبير والحجة الارثوذكسية الى النجاشي منيلك الثاني امبراطور الحبش مع نيافة الابا يوأنس اسقف قوجام عند ما كان مسافراً الى بلاد الاحباش - وهو الذي اعيد منها وحكم عليه هذا العام بثلاث سنين يقضيها في دير المحرق - فكتب النجاشي خطاباً رقيقاً يدلّ على مبلغ احترامه للمؤلف. قال: - «الاسد الخارج من سبط يهوذا منيلك الذي ولاّه الله ملك ملوك ايثوبيا يصل الى الايغومانس فيلوثاوس»

«كيف حضرتكم. نحن بحمد الله بخير. والثلاثة الكتب التي ارسلتها باسمنا على يد انبا متاؤس وصلتنا وفي الحال امرنا ان تترجم باللسان الحبشي. ولما ترجمها اباؤنا واعلمونا بذوقها سررنا كثيراً. فمن الآن عند ما تؤلف كتباً جديدة مثل هذه ترسل لنا».

«تحريراً في ٦ بشنس سنة ١٨٩١ (١٨٩٩م) بمحل اديس ابابا» اهـ.

ثم اهداه بعد ذلك نيشان النجمة من الدرجة الثالثة بيلوردي مؤرخ اول هاتور سنة ١٦١٨ (١٩٠١ م).

الجامع

خطبة

عن القيامة [١]

بسم الثالوث الاقدس المانح الحكمة والفهم والنعمة

« هذا هو اليوم الذي صنعه الرب » [١]

سادتي الاعزآء ! يا من اشتركت حاسياتهم امس متأثرة من ذكرى تفاصيل الآلام المحيية ، يا من توجعت قلوبهم امس من تفاقم شرّ الخطيئة الصادرة من الانسان نحو خالقه والمحسن اليه ، يا من بنعمة الله قد اكتسبتم تهذيباً تقوياً وورعاً خشوعياً من تصور جسامة رذالة البشرية وغزارة اناة العليّ وحلمه على خلقه. ألا فلننهض بافكارنا، وكما اشتركنا في وقائع الججلة والصلبوت المحيين فلنوجهن الافكار نحو البستان لتشترك حاسياتنا الداخلية بالقيامة العظمى التي تعيد اليوم كنيسة الله لذكراها .

قد كان ختام التذكار الذي احتفلت الكنيسة به ان سيد الكل اسلم روحه على الصليب الساعة التاسعة من يوم الجمعة وفي آخر النهار جاء يوسف الرامي واستأذن الوالي واخذ الجسد السيدي وكفنه مع نيقوديمس ووضعاه في قبر جديد منحوت في صخر ، وكان القبر في بستان مجاور لموضع الصلب وهناك اضطجع الحبيب ونام منفرداً ، نام نوماً كلياً اعني مات حقيقة مانح الحيوة للمائتين، ولكن لم يتسلط عليه الموت بل قد انتصر له المجد على غرّة الموت ونهض قائماً من القبر . وبما ان النصوص المقدسة وتعليمات الكنيسة قد افادتنا مفصلات ذلك جيداً فنحن اليوم نوجز

---

(١) تلاها المتنيح يوم عيد القيامة سنة ١٥٩٣ ش وكتب ملخصها فادرجتها في مجلة التوفيق ١٣ و ١٤ من السنة الحادية عشرة في اول برموده سنة ١٦٢٣ ـ ٩ ابريل سنة ١٩٠٧ (٢) مز ١١٨ : ٢٤

الخطاب عن هـذا السر المهاب متـكلمين فقط عن اعتقاد الـكنيسة الارثوذكسية في حقيقة موته وقيامته وعن الدلائل الساطعة الشاهدة بأنه قام حقاً مستمدين ارشاد المعزي .

(اما عن اعتقاد الـكنيسة في حقيقة موته وقيامته) — فانها تعتقد وتعلم وتعلن في كل زمان ومكان ان سيد الـكل ذاق الموت حقيقة. وفعلاً تمّ ذلك بأن نفسه الشريفة العاقلة الناطقة فارقت جسده الزكي عند ماصاح من على الصليب قائلاً : « يا أبتاه في يديك اضع روحي ».ومع كونه بات ميتاً هكذا من جهة الناسوت فمن جهة اللاهوت لم يزل حياً لأن اللاهوت الاقدس لم يبرح متحداً بالناسوت الطاهر. وان كانت النفس فارقت الجسم وشوهد الجسم معلقاً على الصليب ثم في القبر خالياً من الروح ، إلا إن اللاهوت لم ينفكّ متحداً بالجسم في كل احواله ومتحداً بالنفس ايضاً في جميع الاحوال اذ لم ينحل ارتباط الاتحاد السيدي لنحوٍ من الانحاء البتة . فاللاهوت مثل اول لمحة اتخذ الناسوت الشريف من احشاء البتول ، لم يزل متحداً به اتحاداً ذاتياً . وبناء على ذلك فسيّد الـكل كان مائتاً من جهة البشرية حياً باللاهوتية . وحسبنا دليلاً على ذلك من العهدين :

(الاول) ـ قال النبي داؤد : « لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي ، جسدي ايضاً يسكن مطمئناً ، لانك لن تترك نفسي في الهاوية . ولن تدع صفيك يرى فساداً ».[١] وبطرس الرسول اثبت في خطابه لليهود ان هذه النبوة عن المخلص لا عن داود[٢] وكذلك بولس خاطبهم بهذا المعنى[٣] .

---

(١) مز ١٦ : ٩ و ١٠ (٢) اع ٢ : ٢٧ (٣) اع ١٣ : ٣٥ .

(والثاني) ـ قال بطرس الرسول : « مات بالجسد هو حي بالروح الذي به انطلق فبشر الارواح التي كانت مسجونة »[١]

فاذا سمعت ان ابن الله مات فلا تتوهم انّ عظمة اللاهوت يدركها الموت . كلاّ ، ولـكنك متى تذكرت ان ابن الله ليس هو لاهوتاً مجرداً عن الناسوت بل الهاً متجسداً متأنساً فبكل سهولة تدرك حقيقة الاعتراف بموته . اذ كما انه مع كونه منظوراً بواسطة التجسد انه انسان فيوصف بأنه قديم قادر خالق ازلي نظراً للاهوته ، فـكذلك يوصف مع كونه الهاً بانه صلب ومات وقبر من جهة ناسوته . فان قلت: ولماذا لم نقل صلب الانسان أو الناسوت ومات ودفن الخ ؟ فالجواب الذي مات عنا لم يكن انساناً مجرداً بل إلهاً متأنساً ، وان كان ذاق الموت من جهة ناسوته . والدلائل النقلية والعقلية تشهد بذلك . فالنقلية ـ حسبنا منها شهادة نتخذها نموذجاً . قال الرسول بولس : « فليكن فيكم هذا الفـكر الذي في المسيح يسوع ايضاً . الذي اذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة ان يكون عديل الله لـكنه اخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس . واذ وجد في الشبه كانسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب ـ لـكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الارض ومن تحت الارض ويعترف كل لسان ان يسوع هو رب لمجد الله الآب »[٢] — والعقلية ـ فهكذا شرط الاتحاد ان يوصف الـكل بما يوصف به الجزء كالانسان الخ . فان سألت : كيف كان اللاهوت متحداً بالجسد ومتحداً بالنفس مع انفصالهما؟ فنقول: ان هذا سرّ يعلو على كل كيفية. لانك ان كنت لا تدرك

---

(١) ١ بط ٣ : ١٩ و ٢٠ . (٢) في ٢ : ٧ — ١١ .

لاتحاد نفسك ببدنك كيفية فكيف تدرك اتحاد اللاهوت . وانما على سبيل التقريب قد اورد بعض المتكلمين مثالاً وهو : كما ان النور اذا كان متصلاً بشخص ثم ان ذلك الشخص خلع عنه ثوبه فلم يزل النور متصلاً بالشخص وبالثوب ايضاً . وان كان سر الاتحاد يعلو على كل عبارة ، فالغرض التقريب الفهمي . فكن مؤمناً بان المسيح له المجد كان ميتاً بالناسوت حياً باللاهوت . ثم تعالَ لنتأملن في مجد قيامته وعظمته .

ان سيد الكل الذي اضطجع في القبر لما اكمل سياسته الحقيقية بانطلاقه بالروح الى الهاوية كما اشار الى ذلك بطرس الرسول [١] حينئذٍ اعاد نفسه الزكية الى بدنه . وفي اللمحة التي يدركها هو وحده فقط في اواخر ليلة الاحد ثالث يوم لصلبه وموته [٢] نهض قائماً بعزّة واقتدار من القبر كما وعد له المجد . داس قوة الموت وهو بذاته الذي اسلم روحه على الصليب اعادها الى جسمه . قال له المجد : « لي سلطان ان اضعها ولي سلطان ان آخذها ايضاً ». [٣] وقام متسربلاً بالبهاء ونادت ملائكة السماء ومصاف الرسل . ولم تزل الكنيسة منذ ذلك الحين الى الآن والى الأبد تقرّ قائلة : « حقاً لقد قام المسيح ». [٤] ولكن بينما نحن متهللون بقيامته قد يعترضنا -من سوء الحظ- اعتراض يهودي تنفر منه الاسماع وهو انهم يفترون قائلين : ان تلاميذه اتوا ليلاً وسرقوه والحراس نيام . فلكيلا يوجد في طريق فرحنا الروحي عوارض فلنلتفت حسب الامكان لحل هذا الوهم الخاوي

---

(١) ١ بط ٣ : ٢٠ (٢) ستجد الشرح عن الايام الثلاثة لصاحب الخطبة اوردته بعد خطب القيامة تفسيراً لما جاء في الخطب حتى لا يحتاج المطالع الى مراجعة شيء عنها في المطولات. (٣) يو ١٠ : ١٧ (٤) ويقول النصارى : هكذا في عيد القيامة

من كل صدق ومعقول . ماذا تهرفون ايها الحاجدون ؟ ـ ان تلاميذه سرقوه ـ من اعلمكم ذلك ؟ الحراس . — اين كانوا ؟ كانوا نياماً . — ما أقبح هذه الدعوى وما أشنع هذه التهمة . انتم بأنفسكم شهدتم امام بيلاطس بعد دفنه انه قال وهو حي : اني أقوم بعد ثلاثة ايام . وطلبتم حراساً رسميين على القبر وختمتموه رسمياً . فان كان وهو في قيد الحيوة انبأ بأنه يموت وقد تمّ، كان يلزمكم الصبر للثلاثة أيام نقول : عدوانكم اعماكم عن التبصر . والآن ختمتم القبر واقمتم الحراس . كيف ينام الحراس جميعهم مع انهم مقامون للمحافظة عليه لئلا يأتي تلاميذه ويسرقوه ؟ كيف لم يسهروا بالتناوب ليلتين ؟ كيف يعقل ان التلاميذ الذين هربوا وانكروا معرفته حال وجوده يأتون ليلاً الى مكان محصن بجند الحكم ومراقبتكم ، ان فرضنا انهم أحبوه بعد موته وجاؤا الى القبر ؟ أفما يكون حارس واحد متيقظاً؟ وان سلمنا بنوم جميعهم، فكيف للمساكين الخائفين ان يتهجموا على رفع صخرة مختومة محاطة بعسكر ولا يخشون من تيقظهم ، وكيف لم يتيقظوا ؟ وان سلمنا بذلك فكيف يخطفون الجسد سرعة مع حنوطه الثقيل واكفانه ؟ وكيف يتهيأ لمثلهم في هذه الحال المكربة ان ينزعوا عنه حنوطه ولبوسه وغطاء رأسه ويضعوها مفترقة ؟ وان سلمنا بكل هذه الادعاآت الغير المقبولة والغير المعقولة وقلنا: ان الحراس غرقوا في بحر عميق من النوم حتى صاروا كالاموات ، فبأي شرع من شرائع السماء والارض يقبلون شهادة النائمين ، ان كانوا لم يروا ولم ينظروا ولم يشعروا بخروج جسده من القبر ؟ فعلامَ يشهدون ؟ ولماذا لم تجرِ عليهم المحاكمة ؟ انتم قلتم للوالي : ربما ان التلاميذ يأتون ليلاً ويسرقونه ، أيعقل انكم بسهولةٍ

تقبلون قول الحراس انهم ناموا وانه سرق ؟ هذا لا تقبله عقول الاطفال. فالحق جليّ . نعم ان الحراس ناموا ولكن من الزلزلة التي صارت ومن جلالة المبشر السموي بالقيامة . الحراس قالوا لكم الحق ، ولكنكم واريتموه ببعضكم . اشتريتم موته بفضة . فالحق يطلب منكم كاقراركم دمه الكريم. وليكفنا هذا في دحض الاعتراض اليهودي ..

سادتي ! تأملوا لحكم القيامة ودلائلها . سيدنا أرتضى بان يحنط بقنطار من الحنوط الذي يلصق بالجسم لصقاً شديداً ليكون وجوده في القبر دليلاً على قيامته . ارتضى ان يوضع في قبرٍ جديدٍ لم يوضع فيه أحد ليكون عدم وجود جسمه فيه دليلاً على قيامته . وجود الحراس بانتباه وتحريض دليل على قيامته . وجود الاختام على القبر دليل على قيامته فسيّد الكل نهض تاركاً اكفانه وحنوطه في القبر وخرج والقبر مختوم مغلق ولم يصدّه حجاب . ثم ظهرت ملائكة السماء ودحرجت الحجر من على القبر وجاءت النسوة وشاهدن القبر مفتوحاً وناداهنّ الملائكة بقيامته ثُمَّ تراءى لهنَّ المخلص ولرسله وناداهم بألفرح والسلام . وحقاً لقد حقّ للنبي ذلك اليوم ان يقول : « هذا هو اليوم الذي صنعه الرب » .

فتهللوا ، ايها المؤمنون ! بالعشي يكون البكاء وفي الصباح الفرح . سلطان الموت قد حطم ، شجرة الحيوة قد اعدّت ، سعادة الابرار قد تهيأت ، والدة الاله قد امتلأت حبوراً ، الرسل انتعشوا بعد الحزن الاليم. فلنمجد الهنا ونسبحه مع ابيه وروحه القدوس دائماً سرمداً . آمين .

خطبة

في القيامة [١]

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد له المجد دائماً. آمين.

مقدمة

« ان المسيح قد قام من بين الاموات وهو باكورة الراقدين »
(١كو ١٥ : ٢٠)

اني أشعر بفرح كامل، وتهليل شامل، وأرى عيداً بهياً ساطعاً جامعاً. ان رفعت الحاظ التأمل الى أقاصي المشرق او الى افاق المغرب او الى جهات الشمال أو الجنوب، أرى مهرجاناً عجيباً مرونقاً. وان تكن ظروفه وكيفياته متنوعة في لغات وممالك وأجناس وطوائف مختلفة متعددة، الا أنه مع هذه الاختلافات اللغوية والمكانية والدولية والجنسية والطائفية متفق على موضوع واحد ومعنى واحد وقصد واحد. وذلك انّا نسمع في جميع آفاق العالم المسيحيّ المنتشر في قاطبة المسكونة نغمة واحدة عن موضوع واحد بمعنى واحد وقصد واحد، وهي ان المسيح قد قام من بين الاموات وهو باكورة الراقدين.

وبما انّا معاشر المسيحيين على اختلاف اجناسنا ما تسلمنا عن شريعتنا الفضلى ان نعيد اعيادنا الدينية بمجرد العادة الجنسية او بمقتضى التقليد

---

(١) فاه بها المتنيح الايغومانس فيلوثاؤس في عيد القيامة سنة ١٦٠٨ في الكنيسة الكبرى المرقسية بالقاهرة وبعث بملخصها لحضرة كامل افندي اسكاروس وقد نشرت في عددي التوفيق ٩ و ١٠ من السنة الثانية عشرة كما وجدت وعنوانها « خطبة وجيزة عن قيامة مخلصنا عن سنة ١٦٠٨ للشهداء » اهـ.

البشري العاري عن علم الحقيقة واعتبار باقي موضوع التعييد من المعاني والحكم . — ولما كان موسمنا الحالي هو العيد الاكبر الازهر المسيحيّ وجب على كل خطيب يرتقي منبر الخطابة الروحية ان يشرح بغاية ما يمكنه حقيقة هذا السر المنيف ويفصح عما حواه من المعاني والحكم الرفيعة . واني وان كنت بالحقيقة عاجزاً وقاصراً عن الخوض في بحر هذا الموضوع الخطير ، لكن من حيث ان واجباتي القانونية تلزمني بالبيان على قدر الامكان ومحبة المؤمنين وشدة انعطافهم لتفهم المعاني الشريفة تستنهض عزائمنا معاشر الكهنة ، فلذا استمد نعمة الفادي وارشاده ليهبني قليلاً من فيوض مواهبه لأتكلم عن قيامته المجيدة مجداً لاسمه الاقدس وفائدةً لافهام المؤمنين .

وها انني مقسم خطابي اليوم الى ثلاثة أقسام . فاصغوا ايها الاخوة المحبوبون بالرب:

(القسم الاول)

ان حسن الاعتقاد في تجسد المسيح تتعلق اركانه بقيامته له المجد . وهذا يتضح من الاعتبارات الآتية :

(اولاً) ان عالم المسيحيين قاطبة يعتقدون معترفين بأن مولانا يسوع المسيح هو كلمة الاله الازلي الذي تجسد وتأنّس من الروح القدس ومن السيدة الدائمة البتولية مريم [1] . فالقيامة الشريفة تبرهن على صحة هذه العقيدة . قال المخلص : « من اجل هذا يحبني الآب لاني ابذل نفسي لآخذها ايضاً . ليس احد يأخذها مني ولكني ابذلها باختياري ولي سلطان

---

(١) لاحظ مت ١ : ٢٠ ولو ١ : ٣٥ ويو ١ : ١٤

ان ابذلها ولي سلطان ان آخذها ايضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي».[١] فقيامته من بين الاموات تبرهن على أمرين في هـذا الموضوع : ـ (اولهما) ـ ان السيد كان انساناً حقيقياً اعني ذا جسد بشريّ ونفس ناطقة . وانه بهذه الانسانية الكاملة اقتبل الآلام والموت على الصليب حقيقة . ـ (وثانيهما) ـ ان هذا السيد المنظور بالشكل الانساني الحقيقي هو هو عينه ابن الله الحي الازلي المتجسد. لانه لو لم يكن إلهـاً حقيقياً متأنساً لما امكنه ان يبذل نفسه بسلطانه الذاتي ثم يعيدها الى جسمه ويقوم حياً من بين الأموات بسلطانه الالهي .

(ثانياً) انا نعتقد بانه بموته الزكي افتدانا واحيانا . قال له المجد : « لانه هكذا احبّ الله العالم حتى انه بذل ابنه الوحيد لكيلا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحيوة الأبدية »[٢] ولقد شهد الوحي الالهي على افواه الانبياء من قبل التجسد باجيال منبئاً عن هذا السرّ. وحسبنا اعتباراً مطالعة ما نطق به الوحي بفم العظيم اشعياء[٣]. كيف انه ينبئ عن آلام الفادي لاجل البشر ، وكيف ان سلامنا وشفاءنا عليه ، وكيف انه برئ من كل شائبة وانه بقبره وموته يطيعه الكافرون والاغنياء والاعزاء ، وكونه الحمل الرافع خطايا الكثيرين ، الى غير ذلك من الانباء بباقي ظروف آلامه وفوائد موته. وسيدنا لا شبهة في انه ذاق الموت كباقي الناس. فلو كان انساناً مجرداً وليس باله متجسد لما كان منزهاً عن الملام ولا قادراً ان يخلص الخاطئين ، ولما كان قادراً ان يقوم حياً بسلطانه من الموت ، ولما كان قادراً أن يحفظ جسده المدفون من سطوة البلاء والفساد اللذين يعتريان باقي الاموات . واسمع ماذا يكرز الرسول بطرس وهو في محفل الرسل والتلاميذ بعد صعود معلمهم

---

(١) يو ١٠ : ١٧ و ١٨ (٢) يو ٣ : ١٦ (٣) اش ٥٣

ونوالهم جميعاً مواهب الروح القدس يوم العنصرة هاتفاً على جمهور اليهود عن المخلص هكذا : « لما أسلم بحسب مشورة الله المحدودة وعلمه السابق صلبتموه وقتلتموه بايدي الأثمة . فاقامه الله ناقضاً آلام الموت إذ لم يكن ممكناً أن يمسكه الموت. لان داود يقول فيه[١] : كنت أبصر الرب امامي في كل حين فانه عن يميني لكي لا اتزعزع . لذلك فرح قلبي وابتهج لساني وجسدي أيضاً سيسكن على الرجاء . لانك لا تترك نفسي في الجحيم ولا تجعل قدوسك يرى فساداً ... ايها الرجال الاخوة ! (يقول بطرس :) انه يسوغ ان يقال لكم جهراً عن داود رئيس الآباء انه قد مات ودفن وقبره عندنا الى اليوم . فاذ كان نبياً وعلم ان الله اقسم له بيمين ان واحداً من نسل صلبه يجلس على عرشه . سبق فابصر وتكلم عن قيامة المسيح بانه لم يترك في الجحيم ولم ير جسده فساداً[٢] »

(ثالثاً) نعتقد انه صعد الى السماء وجلس عن يمين العظمة وفي عاشر يوم لصعوده ارسل الروح القدس فملأ الرسل والتلاميذ من مواهبه العظمى. فلو لم يقم من بين الاموات بقدرته لما امكنه ان يصعد الى الاعالي بجسده حياً . ولو كان ما صعد للاعالي لما امكنه ان يفي بوعده ويأتي الروح القدس على خواصه . قال له المجد في خطابه الاخير لرسله ليلة آلامه : « لاني ان لم انطلق لم يأتكم المعزي ولكن اذا مضيت ارسلته اليكم »[٣]

وانت ايها المؤمن ! تأمل وعده واعجب من محفل الرسل والتلاميذ الذين ـ عند اسلامه للآلام والصلب حالة كونه حياً بعد ولم يمت — كانوا مذعورين وجلين مختفين كيف صاروا بعد قيامته ومشاهدتهم ذاته المنيفة ،

---

(١) مز ١٥ (٢) اع ٢ : ٢٣ — ٣١ (٣) يو ١٦ : ٧

وكيف انتقلوا من الخوف والوجل والاختفاء الى الشجاعة والشهامة والظهور العلني ، ومن البساطة والامية الى الحكمة والبلاغة ، واعتبر حالة بطرس الرسول الذي جحد مولاه ثلاث مرات ليلة آلامه كيف انه يوم نواله نعمة الروح مع اخوانه يخاطب اليهود بجراءة وشهامة هذا عظم مقدارهما مبرهناً لهم عن قيامة مولاه من الوحي النبويّ ، واسمع باقي خطابه اليهم ، قال : « فيسوع هذا قد أقامه الله ونحن كلنا شهود بذلك . واذ كان قد ارتفع بيمين الله واخذ من الآب الموعد بالروح القدس افاض هذا الروح الذي تنظرونه وتسمعونه . فان داود لم يصعد الى السموات لكنه هو يقول [١] : قال الرب لربي اجلس عن يميني . حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك . فليعلم يقيناً جميع آل اسرائيل ان الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه رباً ومسيحاً » [٢] .

والخلاصة ان قيامة فادينا بقدرته الذاتية من بين الاموات يتعلق بها تحقيق أركان حسن الاعتقاد بسر تجسده . قال السعيد الرسول بولس : « لانه لهذا مات المسيح وعاد حياً ليسود على الاموات والاحياء » [٣]

القسم الثاني

في تحقيق قيامة فادينا

أن ألدّ الاعداء الجاحدي قيامة مخلصنا هم اليهود قاتلوه . وحكايتهم هي : ان تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه من القبر لانه قام كما يذيع أصحابه ولا تزال هذه التهمة منتشرة بين اليهود للآن . وعلى منوالهم ينسج الناكرو قيامة

---

(١) مز١٠٩ (٢) اع٢ : ٣٢—٣٦ (٣) رو ١٤ : ٩

مخلصنا . على ان هذا الاختراع مدحوض منقوض من وجوه صريحة كثيرة حسبنا فيها اعتبارات ثلاثة : (أولها) اعتبار دعوى اليهود نفسها . (ثانيها) حالة التلاميذ وقتئذٍ . (ثالثها) اعتبار حالة الدعوى المسيحية

أما مايخص دعوى اليهود — فانها منقوضة من وجوه : (أولها) ان حالة التلاميذ الذين عند ما أسلم معلمهم للحكم والصلب وهو حيّ بعد وممكن عدم صلبه تفرقوا هلعاً واختفوا — لاتؤذن بانه بعد موته وقطع الأمل يقدمون على سرقة جثة لاحيوة فيها . — (ثانيها) ان حالة القبر الذي دفن فيه معلمهم بمفرده وقد غلق بصخرة عظيمة وختم عليه من رؤساء كهنة اليهود وأقيم عليه جند حرّاس من قبل الوالي يحرسونه الى ثلاثة أيام بحسب طلب الرؤساء أنفسهم إذ كانوا قد سمعوا من السيد مراراً انه وعد بأن يقوم من الاموات في ثالث يوم . وتوهموا بأنه ربما يأتي تلاميذه ويسرقونه ويدعون بأنه قام ، لاتمكن أولئك التلامذة الحزانى المشتتين الخائفين الضعاف من التعرض لخطر هذا صفته . أي بأن يقدموا على فك الخواتيم ورفع الصخرة من على فم القبر وأخذ الجسد وترك اللفائف وغطاء الرأس في القبر حالة كونه محاطاً محصناً بأولئك الجند الحرس الملوكي . — (ثالثها) ان صيغة التهمة لاتنطبق على الصدق ولا يقبلها حكم العقل لانه اذا فرضنا وكان جميع الحرّاس نائمين وكانوا بهذا المقدار مستغرقين في النوم حتى انهم لم يشعروا بحركة فك الخواتيم ونزع الصخرة وسرقة الجسد وترك بعض الاشياء مرتبة في القبر . فشهادتهم بعد اليقظة بأن تلاميذه سرقوه ليلاً وهم نيام عاطلة باطلة . إذ النائم الغير الشاعر بشيء لا تقبل منه شهادة عن أمر وقع وهو سابح في تيار النوم كالميت . وان قيل انهم شعروا بالسرقة وتحققوا

معرفة السارقين . قلنا : كانوا ضبطوهم بسرقتهم وقادوهم الى الحكم . فمن كل وجه دعوى اليهود ساقطة وسقوطها واضح .

اما ما يخص حالة التلاميذ وقت ذاك — فانها لا تؤذن البتة بثبوت هذه التهمة ضدهم وذلك ظاهر من وجوه : (اولها) انه اذا كان معلمهم لم يقم حياً كوعده لهم مراراً فلا جراءة لهم البتة بعد كونهم فارقوه وهو حي على الالتئام والاقدام على سرقة جثة مدفونة والادعاء بانه قام حياً بل لا جراءة لهم قطعاً ان يعرضوا ذواتهم لانتقام الحكم وثوران الجمهور ومقاومة العقل ويذيعون على رؤوس الاشهاد بقيامة معلمهم ما لم يكن قام حقيقة ومسهم بقوة منه . — (ثانيها) واذا فرض ان الغرض الغبي قادهم الى كل ذلك ، فليت شعري من أين نشأت لهم تلك الجسارة وتلك الشجاعة المدهشة بعد ما كانوا تفرقوا ايدي سبا ويجاهرون في المحافل والهيكل القدسي امام الرؤساء وغيرهم وفي المدن والبلاد والقرى والكفور ، في الجبال والسهول وغيرها ، لدى ولاة وحكام وامرآء وغيرهم بان معلمهم قد قام حياً اذا كان لم يقم حقيقة وفعلاً . — (ثالثها) ان كانو سرقوا جسد مولاهم وما قام حياً بالحق فبأية وسيلة امكنهم ان يقنعوا جماهير كثيرة من اليهود انفسهم ومن جميع الامم بقيامته . — (اخيراً) وما هي فوائدهم من نشر دعوى على قوم رافضين صاحبها وما هي آمالهم الزمنية من اختراع اكذوبة ونشرها على قاتلي معلمهم اذا كان لم يقم حقيقة اذ لا يقدم على اختراع الكذب الا من كانت له آمال شخصية في من ينشر عليهم أكاذيبه . وهل يعقل ان رسل المسيح ينالون اغراضاً عالمية من قاتلي المسيح ؟ فالعدل والعقل يشهدان بتبرئة الرسل الكرام من التهمة اليهودية .

أما ما يخص حالة الدعوة المسيحية بعد اذاعة امر القيامة ـ فانها تنقض ادعاء اليهود ومن يحذو حذوهم من اسسه وتبرهن ان المسيح قام حياً حقيقة وفعلاً . وذلك يتضح من وجوه : (اولها) انه اذا كان لم يقم كما وعد قبل آلامه مرات كثيرة بأوقات مختلفة لما كان رسله حصلوا على تلك المواهب العظمى : عرفوا لغات العالم وخاطبوا بها اربابها . نادوا بكل جسارة وثبات بقيامته . حصلوا على معارف وحكم روحية فائقة وشهدت بها خطبهم ورسائلهم. اظهروا معجزات مدهشة باسم معلمهم المصلوب نفسه . صدعت اقوالهم قلوب اخصامه فخضع الكثير منهم لراية المصلوب معترفاً بقيامته . وناهيك من انه في نفس اليوم الذي تأيدوا فيه بمواهب الروح ومن تلك الخطبة الرسولية الاولى التي القاها السعيد بطرس على اليهود اهتدى الى الايمان بالسيد المسيح من الشعب اليهودي نحو ثلاثة آلاف نفس [1] . — (ثانيها) ان الدعوة المسيحية لم تكن قاصرة على اميين او فقراء أو ضعفاء أو عبيد ولا في اماكن حقيرة وزوايا منسية بل وصدعت اسماع علماء وحكماء واغنياء وجبابرة وحكام وولاة وغيرهم . عمت المدن ونفذت في العواصم وامتدت في الآفاق ولم يمر القليل من السنين حتى تمكنت الديانة المسيحية في اعظم اقطار العالم . — (ثالثها) الدعوة المسيحية لم تكن بترغيب في حطام دنياوية أو بتفريط في اميال جسدية أو بترهيب بسطوات بشرية الامر الذي يمكن ان ينخدع به الجهلاء وأولو الاغراض الشخصية بل كانت على خلاف ذلك . ولذلك فآداب الدعوة المسيحية منزهة عن الترغيب في اعراض الدنيا والتفريط في الاميال الجسدية الغير العادلة . والداعون اعني الرسل كانوا مجردين عن الحطام العالمية

---

(١) اع ٢ : ٤١

والسطوات البشرية والحيل الخادعة المضرّة . وانما كان السرّ في نشر دعوتهم وقبولها بلا مانع ليس الا قوة تلك الآيات التي اظهروها باسم مولاهم امام جماهير الناس من اقامة موتى وابراء مسقومين ومصابين بامراض واعراض مختلفة . قال الانجيل المقدس : « نخرج اوائك وكرزرا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التي كانت تقارنه »[١] . — (رابعها) ان الدعوة المسيحية لم تقف الى حد من الزمان وتنتهي بل امتدت الى جميع الاجيال . فمن عهد قيامة مخلصنا للآن نحو التسعة عشر جيلاً والممالك والدول والجهات العامرة المتمدنة تنادي معترفةً بقيامة السيد وفي جميع اقطار المسكونة يسجد له ويتعبد له عالم المسيحيين . وهذا مصداقاً لوعده الكريم حيث خاطب رسله ليلة آلامه قائلاً : ليس انتم اخترتموني بل انا اخترتكم واقمتكم لتنطلقوا وتأتوا بأثمار وتدوم اثماركم »[٢] . ووعده لهم قبل صعوده الى السماء قائلاً : « اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم وعمدوهم بسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به . وها انا معكم كل الأيام الى منتهى الدهر »[٣]

فاذن انكار اليهود وغيرهم على قيامة المخلص منقوضة من كل وجه وحسبنا حجة لسقوط دعاوى اليهود ضد فادينا خراب هيكلهم الوحيد خراباً دائماً وبطلان ذبائحهم وشعائرهم وتعطيل حبوريتهم ودمار مملكتهم ودوام شتاتهم من بعد صعود المخلص الذي جحدوه للآن انتقاماً عادلاً لكفرهم به وجسارتهم ضده .

---

(١) مر ١٦ : ٢٠ (٢) يو ١٥ : ١٦ (٣) مت ٢٨ : ٢٠

القسم الثالث

ان في قيامة المسيح حكماً وأسراراً

ان من جملة ما في قيامة مخلصنا من الحكم والاسرار ان السيد منحنا مواهب سرية لخلاصنا وكشف لنا حقائق لارشادنا . فمن ذلك المعمودية المقدسة وسرّ تناول جسده ودمه الزكيين . فلو لم يكن ذاق الموت بناسوته حقاً ثم قام بقدرته منتصراً على عزّة الموت فعلاً ، لما كان المعمدون يتطهرون ويتجددون ويتبنون بالنعمة لله بسر العماد لان عماد المسيحيين في الماء باسم الثالوث الاقدس هو دفن سرّي مع السيد المسيح في موته . قال الرسول: « أتجهلون ان كل من اصطبغ منا في يسوع المسيح اصطبغ في موته فدفنا معه في الموت حتى اننا كما أقيم المسيح من بين الاموات بمجد الآب كذلك نسلك نحن أيضاً في جدة الموت »[١] وقال أيضاً : « وفيه أيضاً ختنتم ختاناً ليس من فعل الايدي . مدفونين معه في المعمودية التي فيها أيضاً أقمتم معه بايمانكم بعمل الله الذي أقامه من بين الاموات » .[٢] وقال الرسول بطرس: « مبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح الذي على حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حيّ بقيامة يسوع المسيح من بين الاموات » .[٣] — وكذلك بسرّ التناول الشريف انما كان كماله بسر الفداء العظيم . لانه لو لم يكن مخلصنا أسلم جسده للصلب والموت وأهرق دمه على الصليب ثم قام حياً بقدرته ، لما كان ممكناً للمسيحيين تناول جسده لانه لم يكن بذل للموت ولا دمه لانه لم يكن أهرق . ولكن من حيث انه اقتبل ذلك بارادته ثم

---

(١) رو ٦: ٣و٤ (٢) كو ٢: ١١و١٢ (٣) ١ بط ١: ٣

انتصر على عزّة الموت بقيامته بقدرته . فحقاً صرنا نشترك في جسده ودمه الكريمين في العشاء السرّيّ الرباني [١] . وحقاً صرنا نحظى من هذه الشركة الرهيبة بالحيوة الأبدية والقيامة السعيدة والثبوت في مخلصنا كما وعد له المجد في انجيله [٢] .

ومنها انه بقيامته المجيدة أرانا قيامتنا العامة بعد فساد أجسادنا واضمحلالها وتحققت لنا بالفعل آمالنا في النشور والمجازاة لانه بذوقه الموت وقيامته حياً ظافراً بشوكة الفناء وبارتقائه الى سماء السموات ، تجلت لنا حقيقة قيامته للعموم ، قيامة لا يعقبها موت البتة ، قيامة يفوز بها المؤمنون الطائعون بالحيوة السعيدة الابدية . قال الرسول : « فأن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن انّا سنحيا أيضاً معه اذ نعلم ان المسيح من بعد ان اقيم من بين الأموات لا يموت أيضاً ولا يسود عليه الموت من بعد لانه من حيث انه مات فقد مات للخطيئة مرة واحدة . وأما من حيث انه يحيا فيحيا لله » [٣] . وقال أيضاً : « فانّا ان كنا نؤمن ان يسوع قد مات ثم قام فكذلك سيحضر الله الراقدين بيسوع معه » [٤]

وناهيك من ان القيامة العامة هي غاية الآمال ، ومحط رحال الكمال ، هي رجاء النفس المتحملة المصاعب في جانب الحق ، هي نياحة القلوب الصبورة على مضض البلايا امتثالاً للحكمة ، هي ميقات توزيع الاجور لمن لم يبع الهدى بالضلال ، والايمان بالالحاد ، هي نقطة الفوز بجميل مكافأة

---

(١) لاحظ النص الرسولي ١كو ١٠ : ١٥ — ١٧ و ١١ : ٢٢ — ٢٩

(٢) لاحظ يو ٦ : ٥٢ — ٥٩ (٣) رو ٦ : ٨ — ١٠ (٤) ١تس ٤ : ١٣

لاصحاب المبرات الفاضلة . فلو لم تكن القيامة العامة حقيقة، لما وجدت الديانة ولا الناموس الالهي . واذا عدمت الديانة والناموس فلا آداب ترجى ولا انصاف ينتظر ولا كمال يؤمل . وما أعجب ما أورده الرسول استهزآء بنا كري القيامة ، قال : « ان كان الاموات لا يقومون فلنأكل ونشرب فانا غداً نموت »[١] ثم قال متداركاً ضلالهم : « لا تضلوا ان العشرة الرديئة تفسد الاخلاق السليمة »[٢] ثم اعلن عن حقيقة القيامة قائلاً : « وها اني أكشف لكم سراً انّا سنقوم كلنا ولكن لا نتغير كلنا في لحظة وطرفة عين عند البوق الأخير فانه سيهتف فيقوم الاموات عادمي الفساد ونحن نتغير »[٣] ثم ختم كلامه عن القيامة في هذا الاصحاح قائلاً : « فشكراً لله الذي منحنا الغلبة بربنا يسوع المسيح . إذن يا اخوتي الاحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مستزيدين في عمل الرب كل حين اذ تعلمون ان ان تعبكم ليس بباطل في الرب »[٤] . وقال في رسالته الثانية لقورنثية : « لاننا جميعنا لا بدّ من ان نظهر أمام منبر المسيح لينال كل واحدٍ على حسب ما صنع بالجسد خيراً كان أو شراً »[٥] . فقيامتنا التي هي رجاء المؤمنين العابدين الطائعين تحققت فعلاً بقيامة مخلصنا الذي قام من بين الاموات وهو باكورة الراقدين . فلنمجده ونسبحه ونرجوه ان يديمنا معترفين مهللين بقيامته المجيدة وان يوفقنا لقيامة صالحة مع مختاريه ، ويمتعنا معه بالحيوة السرمدية السعيدة . مجداً لاسمه القدوس مع أبيه الصالح والروح القدس المعزي . آمين .

---

(١) ١ كو ١٥ : ٣٢ (٢) ١ كو ١٥ : ٣٣ (٣) ١ كو ١٥ : ٥١ و ٥٢
(٤) ١ كو ١٥ : ٥٧ و ٥٨ (٥) ٢ كو ٥ : ١٠

مدّة بقاء المخلص في المقبرة [١]

« أنه ينبغي للسائل عن حقيقة مدّة إقامة مخلصنا بالجسد في الضريح وقيامته المجيدة ان يعتبر بلا بدّ مواعيده الالهية التي سبق مصرّحاً بها عن آلامه وموته وقيامته حتى يكون له ذلك أساساً يبنى عليه التكلم في هذه المسألة، ومتى تحقق تلك المواعيد الصريحة الصادرة عن هذا السر يتيسر لهُ فهم المسألة بكل سهولة، وذلك ان السيد له المجد قد كشف النقاب عن هذا الأمر وأعلنه مرّات متعددة قبل وقوعه وابانه . من ذلك انه لما كان في أورشليم في عيد الفصح في السنة الأولى بعد عماده وكان قد وجد في الهيكل وقتئذٍ ما لا يحل وجوده فيه من باعة حيوانات وصيارفة وأخرج جميعهم بما معهم من الهيكل وقال له اليهود : « أية آية ترينا حتى تفعل هذا. أجابهم قائلاً : انقضوا هذا الهيكل وأنا في ثلاثة أيام أقيمه». ثم فسر الانجيلي ذلك بقوله: « أما هو فكان يعني هيكل جسده. ولما قام من الأموات تذكر تلاميذه انه قال هذا [٢] » . ومن ذلك انه قبل تجليه على الجبل وكان حينئذٍ في جهة قيصرية فيلبس. بدأ يبين لتلاميذه انه ينبغي ان يمضي إلى أورشليم ويتألم كثيراً من المشائخ ورؤساء الكهنة ويقتل ويقوم في اليوم الثالث [٣] ومن ذلك انه بعد تجليه بينما كان يتردد مع تلاميذه في الجبل قال لهم: « ان ابن البشر مزمع ان يسلم الى أيدي الناس فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم فحزنوا جداً [٤] »

---

(١) سأل أحد الأقباط في سنة ١٨٨٩ مجلة الهدية البيروتية عن مدة بقاء السيد المسيح في المقبرة وكيف يقولون عنها انها ثلاثة أيام فجاوب المتنيح الايغومانس فيلوثاؤس السائل بجواب كافٍ أدرج في عددي ٢٠٢ و ٢٠٣ من تلك المجلة

(٢) يو ٢: ١٨ — ٢٢ (٣) مت ١٦ : ٢١ مر ٨ : ٣١ لو ٩ : ٢٢

(٤) مت ١٧: ٢١ و ٢٢ ومر ٩ : ٣٠ لو ٩ : ٤٤

وأخيراً إذ شرع أن يدخل أورشليم دخولاً احتفالياً قبل عيد الفصح الذي تمم فيه سر الفدا قال لهم : « هو ذا نحن صاعدون الى أورشليم وابن البشر يسلم الى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم[١] » .

فمن هذه الآيات التي صرح بها لرسله مرات في أوقات وأماكن مختلفة، يتضح جلياً ، انه ـ له المجد ـ قد حدد ان تكون قيامته من الأموات في اليوم الثالث لصلبه وموته لا في اليوم الثاني ولا في الرابع وفي ما قاله لليهود عن جسده : «انقضوا هذا الهيكل وأنا في ثلاثة أيام أقيمه» حصر المدة الخاصة بموته وقيامته في تثليث الأيام ، لأنه له المجد لم يقل وأنا بعد تمام ثلاثة أيام أقيمه بل في ثلاثة أيام أي في جزء من نفس اليوم الثالث لموتي ودفني أقيم جسدي بارادتي وسر قدرتي، وبذات هذا التحديد الالهي نطقت ملائكة السماء. وذلك ان الملاكين المبشرين بقيامته في صبيحة الأحد الذي قام في سحره، قد تجليا بمنظر بهي للنسوة حاملات الطيوب حذاء قبره وقالا لهن : « لماذا تطلبن الحي بين الأموات. انه ليس ههنا لكنه قد قام. اذكرن كيف كلمكن وهو في الجليل إذ قال: انه ينبغي لابن البشر ان يسلم الى أيدى أناس خطاة ويصلب ويقوم في اليوم الثالث »[٢] وهكذا فهمت جماعة الرسل وكرزت بقيامته في العالم.

إذا علم ذلك فلا صعوبة حينئذٍ في تطبيق المدة من ساعة اسلامه الروح الى ان قام على وعده الصريح الذي جاهر به تكراراً لأنه في الواقع ونفس الأمر قام في اليوم الثالث طبقاً لما رسم ووفقاً لما حكم لا في الثاني ولا في الرابع، إذ كان اسلامه الروح ودفنه يوم الجمعة وقيامته كانت في سحر الأحد جداً.

---

(١) مت ٢٠: ١٨و١٩ مر ١٠: ٣٢—٣٣ لو ١٨: ٣١و٣٢ (٢) لو ٢٤: ٥—٧

أما قول السائل عن ان الانجيل أخبرنا ان مخلصنا مكث في القبر ثلاثة أيام الخ ، فحقيقة المسألة ليس ان الانجيل الشريف لما شرح تاريخ سرّ الفداء أخبرنا ان الفادي مكث مدفوناً ثلاثة أيام كاملة، بل الواقع ان السيد له المجد فيما كان علماء اليهود بعد نظرهم منه وسماعهم عنه صدور الآيات المعجزة المختلفة الكيفيات قالوا له: « يا معلم نريد منك ان ترينا آية فأجابهم قائلاً : ان الجيل الشرير الفاسق يطلب آية فلا يعطي آية إلا آية يونان النبي لأنه مثلما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال كذلك يكون ابن البشر في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال »[١] . والغرض من ذلك ان الآية العظمى والعمل الأسمى الذى هو أبهر الآيات وأعجب المعجزات ، هو كونه يذوق الموت فعلاً بارادته لأجل خلاص العالم ويقوم حياً بجسمه بمجرد إرادته وفعل قدرته. وكما ان مسألة يونان النبي الذي ارتضى بأن يطرح في البحر باختياره لاجل خلاص الذين كان معهم بالسفينة من الغرق، ولما ابتلعه الحوت العظيم لبث في جوفه ثلاثة أيام وهو حيّ مصون بالقدرة الخفية الى ان قذفه الحوت الى البر سالماً[٢] كانت آية عظمى لأهل نينوي ، كذلك تكون قيامة المسيح بسلطانه من الأموات الآية العظمى لجميع العالم. على ان المشيئة الالهية دبرت من قبل بوقوع آية يونان في حينها لتكون مثالاً نبوياً متقدماً لآية قيامة المسيح وذلك واضح مما نص في بشارة القديس لوقا عن هذا الشأن حيث يقول : « ان هذا الجيل جيل شرير يطلب آية فلا يعطى آية إلاّ آية يونان النبي لأنه مثلما كان يونان آية لأهل نينوي كذلك يكون ابن البشر أيضاً لهذا الجيل »[٣] ولما كرر السيد هذا المعنى قال : « ان الجيل

---

(١) مت ١٢: ٣٨—٤٠ (٢) نبوة يونان ١و٢ (٣) لو ١١: ٢٩و٣٠

الشرير الفاسق يطلب آية فلا يعطى إلاَّ آية يونان النبي »[١] .

فاذاً المقصود من ذكر مسألة يونان في معرض الوعد عن سر الفداء ليس إلا تشابه الأمرين في المعجزة لاحصر المدة إذ وجود رجل في بطن حوت هائل يبقى حياً الى أن يخرج منه سالماً طالما ان الذين طرحوه في البحر ظنوا هلاكه ووجود جسم ميت مدفون في قبر قد ظن القتلة انه انقضى أمره بموته ويمتنع قيامه حياً ثم ينتصر ذلك الجسم على شوكة الموت وينهض حياً، أعجوبتان متشابهتان، إلا أن الثانية أعجب وأبهر. لأن يونان وان كان وقع في خطر الموت لكنه لم يمت حينئذٍ، أما السيد المسيح فانه ذاق الموت فعلاً. يونان لم يكن عالماً ماذا يصيبه في البحر، والسيد كان عالماً من قبل بكل ظروف آلامه وصلبه وموته وصرح بذلك مرات علانية. يونان لم يحفظ ذاته من الموت ولا خرج بقدرته من الحوت، بل القدرة هي التي هيأت الحوت لابتلاعه وحفظته في جوفه وبالأمر الالهي قذفه الى البر[٢] والسيد بقدرته الذاتية حفظ جسمه من الفساد في القبر وبقدرته أعاد له الحيوة حينما أراد، طبقاً لما وعد قائلاً عن هيكل جسده : « وأنا في ثلاثة أيام أقيمه ». وقوله : « لأني أبذل نفسي لأخذها أيضاً ليس يأخذها مني ولكني أبذلها باختياري. ولي سلطان ان أبذلها ولي سلطان ان آخذها أيضاً[٣]. فان قال السائل نعم ان حقيقة قيامة السيد مطابقة لما وعد ولا شك إذ كانت في جزءٍ من اليوم الثالث لموته، انما الاشكال هو في قوله لليهود : « انه يكون في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ » والمدة التي أقامها لم تبلغ ذلك.

قلت : ولا اشكال في ذلك البتة اذ الغرض من المقايسة بمسألة يونان

---

(١) مت ١٦ : ١٤ (٢) يونان ١ : ١٧ + ٢ : ١٠ (٣) يو ١٠ : ١٧ و ١٨

الفعل المعجز لا حصر المسافة كما أوضح ذلك القديس لوقا الانجيلي وقد مرّ ذكره ، فالعبرة إنما هي في كون السيد يقتبل الموت والدفن ثم يقوم حياً متى أراد، وهذا هو المعجز الفائق. على ان السيد له المجد لم يقل بالحصر: لا بدّ لابن الانسان من ان يمكث مدفوناً ثلاثة أيام وثلاث ليال كاملة، وانما الذي قاله بالحصر والتحديد في هذا الصدد هو: « انه ينبغي أن يمضي الى أورشليم ويتألم.. ويقتل ويقوم في اليوم الثالث »[١]. وقوله: « وابن البشر سيسلم الى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت. ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم »[٢]. الى غير ذلك مما سبق ايراده عما أعلنه مرات بأنه يقوم في اليوم الثالث واذ كان دفنه في اليوم الاول كما تقدم القول واستقام مدفوناً لجزء من الثالث. فبهذه المناسبة حصلت المشابهة بيونان ولا شك، حيث كان جسمه قد دفن في الارض في ثلاثة ايام لا في يومين فقط لانه لم يقم من الاموات يوم السبت بل يوم الاحد.

فان قيل: كيف نعتبر الجزء من اليوم يوماً ونطلق عليه اسم الكل وهو جزء؟ قلت: ان هذا جائز ومسلم به نصياً وعقلياً. ومثاله من النص ما جاء في الانجيل عن تجلي المسيح وذلك انه فيما كان يخاطب تلاميذه يوماً ما عن آلامه ومجده وانهى خطابه قائلاً: « ان قوماً من القائمين ههنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن البشر آتياً في ملكه »[٣]. وكان من غرضه في ذلك الانباء بتجليه بعد أيام أمام بعض رسله الحاضرين. وبعد ذلك أخذ النصّ يشرح تاريخ تجليه. فالبشيران[٤] قالا: « وبعد ستة أيام اخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه فاصعدهم الى جبل عالٍ على انفراد وتجلى قدامهم ». أما لوقا

---

(١) مت ١٦ : ٢١ (٢) مر ١٠ : ٣٣ و ٣٤ لو ١٨ : ٣١ ـ ٣٣
(٣) مت ١٦ : ٢٨ مر ٨ : ٣٩ لو ٩ : ٢٧ (٤) مت ١٧ : ١ مر ٩ : ١

فقال: «وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام اخذ بطرس ويعقوب ويوحنا الخ»[٥] فالقولان وان كانا مختلفين في ظاهر العبارة، فانهما متفقان في المعنى. وذلك ان البشيرين متى ومرقس لم يحسبا اليوم الذي انبأ السيد فيه عن تجليه ولا اليوم الذي انجز فيه الوعد بالتجلي، بل ذكرا الستة أيام المتوسطة بين يومي الوعد والانجاز. ولذلك حررا بلفظ واحد هكذا: «وبعد ستة أيام الخ» أي بعد هذا اليوم بستة أيام صار التجلي. أعني في اليوم الثامن. ولوقا حسب يوم الوعد ويوم التجلي، فقال: وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام، أي ومن بعد نهاية خطاب السيد مع الرسل الى ثامن يوم حصل التجلي. ومن ذا تعلم ان النص المقدس أجاز اطلاق اسم اليوم الكامل على جزء ذلك اليوم، كما ترى من ان البشير لوقا اطلق على الحصة التي بقيت من اليوم الاول بعد نهاية الخطاب مع الرسل، اسم اليوم الكامل والحصة التي صار فيها التجلي يوماً ودعاه ثامناً.

ومثال ذلك من الاصطلاح العقلي: فانه اذا أتى الملك مثلاً الى العاصمة في وقت مخصوص من يوم الاحد تقديراً، واردت ان تخبر عن ذلك، فتقول: قد حلّ ركاب الملك في العاصمة يوم الاحد. فمع كونه لم يحل في جميع محال المدينة بل ضرورة في جزء معين من مكان مخصوص، جاز القول بأنه حلّ في المدينة وهو صحيح. لأن حلوله لم يكن في البادية مثلاً بل في داخل المدينة. ومع ان حلوله لم يكن الا في حصة مخصوصة لا تستغرق ساعات يوم الأحد الاربع والعشرين، جاز القول بانه حلّ يوم الأحد وهو صحيح أيضاً لكونه لم يأت المدينة في وقت من يوم السبت ولا من يوم الاثنين مثلاً بل في الأحد خاصة.

فعلى هذا القياس مسألة الثلاثة الايام، فان السيد وان لم يكن قد استوفى

---

(١) لو ٩ : ٢٨

ساعات يوم الجمعة مدفوناً نهاراً وليلاً بل دفن في جزء منه، فقد يحسب له بذلك اليوم الاول لان دفنه كان فيه ولا شك. وكذلك وان لم يكن استمر مدفوناً جميع ساعات يوم الأحد نهاراً وليلاً بل مكث في القبر الى الجزء الذي يعلمه وحده من ذلك اليوم الى ان نهض حياً، فقد يحسب له بهذا الجزء اليوم الثالث ايضاً لان نهاية دفنه كانت في ذلك اليوم ولا شك. وما أجمل ما قاله الكاهن العلامة المتوحد الفاضل بطرس السدمنتي الذي وجد في القرن الثاني عشر المسيحي في كتاب له يدعى (التصحيح في آلام السيد المسيح) في جوابه على هذه المسألة قال: «ان الاصطلاح العقلي بل الشرعي أيضاً من عادته اطلاق اسم الكل على البعض لا مطلقاً، لكن من حيث انه بعض لكل مخصوص. والمثال في ذلك كمن يقول: رأيت فلاناً السنة الماضية في مدينة بغداد ويجوز انه ما رأى الا لباسه أو بعض أعضائه الدالة على شخصه، وكذلك القول في الزمن الذي لحظه فيه ادقّ مما يسمى باسم مخصوص فضلاً عن كونه سنة. وكذلك كونه رآه في مدينة بغداد وهذا لا يجوز ان يكون قد رآه الا في بعض اجزاء المدينة وهو القدر من المكان الذي يحوي شخصه فقط. وكذلك نقول: اليوم اسم موضوع لمجموع الليل والنهار اللذين هما على التفصيل اربع وعشرين ساعة وكذلك اسم الساعة موضوع لمجموع دقائق والدقائق تقسم بطريق الاحتمال والافتراض الى اجزاء غير مفهومة ولا معهودة، فالليل والنهار والساعات والدقائق واجزاؤها داخلة في مفهوم اليوم، فهو لذلك مقول عليها. ولما كان العموم يقال على عموم الجنس والنوع كالمقومين لوجود الشيء وفهمه وعلى عموم الشمول المقوم لفهم ما هو شامل له وكانت اجزاء اليوم داخلة في مفهومه، وجب ان اجزاء اليوم مندرجة تحت اليوم اذا كان مفهوماً لها. فهو اذاً اعني اليوم مقول على كل واحد منا بطريق الالتزام، وهذا العموم عموم الشمول لا عموم الجنس

والنوع. فان الشهادة قد تقع على فلان في السنة الفلانية ولم يكن وقوعها عليه وقوعاً مطابقاً في نفس الأمر الا في مقدار الزمان الذي قال فيه للشهود: اشهدوا عليَّ بأن لفلان عندي كذا وكذا ... وسمي هذا القدر الزمني الذي لا يمكن تعيينه: باليوم، لجواز وقوعه تحت يومه المخصوص، وكذلك نقول: اذ قد صار المسيح تحت الارض في جزء نهار يوم الجمعة حسب له يوم الجمعة، وصدق القول عليه انه كان يوم الجمعة في القبر. وكذلك اذ أقام في جزء من ليلة الاحد أو في جزء من نهاره، صدق القول عليه بأنه أقام يوم الاحد، وبحسب هذا التأويل يكون يوم الاحد بأحد اجزائه داخلاً في الثلاثة الأيام التي أشار اليها المسيح بأنه يقيمها في الأرض، وبجزئه الآخر منسوباً الى اليوم الذي قام فيه من القبر. فيكون الأحد مأخوذاً في النفي والاثبات باعتبارين مختلفين من قبل اجزائه لا من قبل جملته. وبالجملة فالسيد ما قال: انني اقيم تحت الأرض جميع هذه المدة بلا بدّ، لكن قولاً مطلقاً، فلهذا يجوز ان يكون أراد ما قلناه بلا خلاف. ثم نقول: ان المسيح لو أقام جميع هذه المدة تحت الأرض من غير تقصان البتة، لوقعت قيامته في اليوم لا في اليوم الثالث، وكان ذلك يكون نقصاً لاجماع النصارى ولقول المسيح أيضاً، اذ كان قد قال بتكرار: انني أقوم في اليوم الثالث. وعلى الجملة اذ قد ثبت ان المسيح صادق في كل ما يقول، سواء وقفنا على وجه الحق فيما قصد أو لم نقف. فلهذا نقول: ان المدة التي أقامها تحت الأرض هي بعينها التي أشار بقوله اليها بلاشك، فيصير اعتبار مضمون القول باعتبار الفعل، فكما انه قال: ان لعازر حبيبنا قد رقد (يو ١١:١١) وأراد بنومه موته ان يكون اراد المماثلة في المقام في قلب الارض في مدة المقام في الارض وبحسب ذلك يزول النزاع ويساغ القول ويترجح به الانتفاع» اهـ.

مفيد كرزة الميلاد

عن سنة ١٥٩٣

إنّا إذا تأملنا في هذا الموسم الروحي، وتذكرنا الفصول الانجيلية المختصة به، يلوح لنا من خلال آياته، كأن منادياً علوياً وجندياً سمويا يهتف بنغمة مفرحة نحو رعاة كانوا ساهرين في الحقل ليلةً ما في مدينة بيت لحم قائلاً: «لا تخافوا لأني أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب» (١) أي لجميع العالم كما قرأت النسخة السريانية.

أترى هذا الفرح العظيم كان وقتياً هو أم أبدياً عالمياً أم روحياً؟ لعمري ان الأفراح — سادتي! — الناشئة عن مجرد أسباب عالمية مهما كانت الأسباب لابدّ من زوالها مع زوال أسبابها، وهذا أمر محقق مسلم به. أما الأسباب الناشئة عن أسباب سامية الهية ولا سيما المختصة بالأبديات فانها تدوم وتبقى الى الأبد. قال مولانا لرسله: «سأراكم أيضاً وتفرح قلوبكم ولا ينزع أحدٌ فرحكم منكم» (٢). فترى ما السبب الباعث لهذا الفرح الذي يبشر به الملك للرعاة؟ أكان عالمياً وقتياً أم الهياً روحياً أبدياً؟ ما كان عالمياً يختص بمزايا أو نعم زمنية مصمحلة، ولا كان وقتياً يختص بزمن وينقضي بل كان الهياً بجملته وأبدياً، لأن الملك عينه يورد هذا السبب قائلاً: «انه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب» (٣). وإي نعم! ان الفرح الناشئ عن هذا السبب السامي الالهي ما برح ثابتاً منذ البشرى به الى الآن وسيدوم الى الأبد وتبقى فوائده الى أبد الآباد. — على إنّا

---

(١) لو ٢ : ١٠ (٢) يو ١٦ : ١٢ (٣) لو ٢ : ١١

لا نعني بقولنا هـذا مجرد الفرح الظاهري الذي يشمل المؤمنين حال اقامة الشعائر الاحتفالية المقدسة العيدية السنوية ، بل ذاك الفرح الروحاني المجيد الشامل الأنفس المؤمنة من عهد ان سرّ ابن الله الكلمة بأن يشارك النوع الأنسي بالتجسد العجيب الى الآن ، ولم يزل يشمل أنفس المؤمنين المستقبلين الى الانتهاء . لا أقول كل سنةٍ فقط بل كل يوم ووقت، طالما ان الكنيسة تمجد وتسبح معترفة بأزلية المولود من مريم جسدياً : ذلك الذي — كما يخاطب الرسول بطرس جميع المؤمنين قائلاً — : « أحببتموه من غير أن تروه وحتى الآن مارأيتموه ولكنكم تؤمنون به فتتهللون وتفرحون بالفرح الذي لايوصف »[1] . ومع كون الفرح الظاهري الناجم من الاحتفالات العيدية ما هو إلاَّ رسم ظاهري دالّ على الفرح الباطني المشار اليه، فالعجب انه منذ انتشار الايمان المسيحي في أقاصي الأرض ، لم تزل هذه الشعائر والاحتفالات المقدسة متداولة بين المؤمنين في كل آن وزمن بلا انقطاع ، رغماً عن الابتهاجات العالمية المحضة السريعة التلاشي .

فعن هذا الموضوع، أعني به سر التجسد الذي أفادنا الفرح الدائم، أروم اليوم ـ أيها السادة ! ـ ان أخاطب محفلكم السعيد ، مقسماً خطابي الى أقسام ثلاثة : (أولاً) في السبب الموجب للتجسد . (ثانياً) في دلائله . (ثالثاً) في فوائده . بحيث انني أستمد اسعاف أدعية رئيس مصاف الرتب الاكليركية المرقسية وأدعية الآباء واتحاد قلوبكم متوسلين للروح المعزي أن يرشد جهالتي لأنطق بجزءٍ مفيد عن ذلك . . . .

(الى هنا انتهى ما وجدته منها بخط صاحبها) .

---

(١) ١بط ١ : ٨

رسم خطاب الميلاد عن سنة ١٦٠٧ [١]

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد له المجد دائما سرمداً

« ان الله الذي كلم الآباء قديماً في الأنبياء كلاماً متفرّق الأجزاء مختلف الأنواع كلمنا أخيراً في هذه الأيام في الابن الذي جعله وارثاً لكل الأشياء وبه أنشأ الدهور وهو ضياء مجده وصورة جوهره وضابط الجميع بكلمة قوّته » (عب ١ : ١ — ٣)

ان لكل مقام كلاماً ، فالروح أرشد الرسول فافتتح خطابه للعبرانيين الذين تنصروا ، بهذه الجمله ، منبهاً لأولئك الذين يعتبرون الأنبياء حق الاعتبار ، لعظمة سمو يسوع وفووق رتبته عن درجة الأنبياء ، ثم أخذ يبرهن لهم من النصوص النبوية ذلك السمو الفائق . وبما إني في الآحاد الصومية تكلمت باسهاب عن الابن الكلمة الأزلي وعن تجسده وسر اتحاده وما ظهر من الآيات الربانية بعد البشرى به الى ان ولد رسوله الخاص يوحنا ابن زكريا . وقد حلّ هذا الوقت الذي يعيد فيه قاطبة المسيحيين الشرقيين بميلاد هذا الوحيد جسدياً من العذراء ، فاكتفي والحالة هذه مراعاة للظرف بأن أخاطب كمالكم عن هذا الموضوع بشيئين : (الأول) بطرفٍ من دلائل سموه . (الثاني) بتهنئتكم . فاصغوا :

(فأوّلاً) — بما اني متوخي الايجاز ، اذكر نباهتكم بثلاثة أشياء : — أولها — ماتقدّم التجسد من الوحي الالهي بواسطة الأنبياء — إذ إنّ الوحي عين التاريخ لمجيء المخلص . قال يعقوب : « لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلو وتطيعه الشعوب » [٢] . وعين حالة

---

(١) وجدت بخط المتنيح الايغومانس فيلوثاؤس عند حضرة حبيب افندي جرجس

(٢) تك ٤٩ : ١٠

أمه ، قال أشعياء : «فلذلك يؤتيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل »[١] . وعين المكان الذي يولد فيه ، قال ميخا: « وأنت يابيت لحم أفراثه وأنت صغيرة ان تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل»[٢] . وقرر الوحي عن لاهوته ، قال بفم أشعياء : « لأنه قد ولد لنا ولد أعطيَ لنا ابن فصارت الرياسة على كتفه ودعي اسمه عجيباً مشيراً إلهاً جباراً أبي الأبد رئيس السلام»[٣] ـ ثانيها ـ ماحصل زمان تجسده ـ فالبشارة بذلك وماحصل بعدها سبق الكلام عليه وليلة مولده سمعتم الانجيل المقدس عن ذلك ـ ثالثها ـ بعد ظهوره ـ ان هذا الطفل قد امتدَّ ملكه بقوة فائقة الطبيعة فالوسطاء كانوا أميين مبغوضين من قبيلتهم ، وتعليمهم كان معارضاً للأميال اللاحمية في أدبياته ومعارضاً للتصورات البشرية في عقائده. ومع ذلك قبل أشهر العالم هذه الدعوى وخضع لها وأمن بالمولود من مريم . ـ أخيراً ـ لم يزل الآن وغدٍ امبراطرة وملوك وأمراء وعظماء وعلماء وفلاسفة ورؤساء ونجباء أعظم العالم المتمدن يقرون ويتعبدون ليسوع ابن مريم . وفي هذا القدر الكفاية .

(ثانياً) — وإذ قد أتيت على سبيل الذكرى ببيان سمو المولود الذي نعيد له الآن، تسنى لحقارتي بالنيابة والاصالة ان أهنئكم معاشر المؤمنين بهذا المولود. وانما أذكركم بأن محبتكم لهذا السيد الوحيد تستدعي لاحضوركم في مثل هذا الموسم فقط بل أقله كل شهر أو كل فصل اذ تسمعون دائما تاريخ وتعليم وأسرار يسوع فاديكم ذلك الذي نرجوه ألاَّ يحرمكم من الفوز بفرح نعيمه الأبدي. مجداً لله في الاعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة.

---

(١) اش ٧ : ١٤ (٢) مي ٥ : ٣ (٣) اش ٩ : ٦

رسم خطاب عيد العنصرة

عن سنة ١٦٠٩ [١]

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد له المجد دائماً

مقدمة

« وفيما هو يأكل معهم اوصاهم : ان لا تبرحوا من
اورشليم بل انتظروا موعد الذي سمعتموه مني »
(أع ١ : ٤)

مرّ بنا الكلام عن سر الصعود المجيد وحينذاك عرفنا ان الكنيسة بعد صعود فاديها مكثت في العلية متحدة في العبادة منتظرة وعده الكريم . فبعد عشرة أيام لصعوده أعني في يوم تمام الخمسين لقيامته والكنيسة مجتمعة في مكان واحد تبلغ نحو المائة والعشرين ، كان تمام الوعد الالهي. قال كتاب اعمال الرسل [٢] : « ولما تمّ يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة . وصار بغتةً من السماء صوتٌ كما من هبوب ريحٍ عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين . وظهرت لهم ألسنةٌ منقسمة كأنها من نارٍ واستقرت على كلّ واحد منهم . وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح ان ينطقوا . — وكان يهودٌ رجالٌ اتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم . فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور

---

(١) وجدت بخط يد المتنيح الايغومانس فيلوثاوس — وعيد العنصرة هو المسمى بالبنطقوستي أي يوم الخمسين تذكار حلول الروح القدس على التلاميذ

(٢) أع ٢ : ١ — ٢١

وتحيروا ، لان كل واحدٍ كان يسمعهم يتكلمون بلغته. فبهت الجميع وتعجبوا قائلين بعضهم لبعضٍ : أترى ليس جميع هؤلاءِ المتكلمين جليليين . فكيف نسمع نحن كلّ واحدٍ منا لغتهُ التي وُلد فيها . فرتيون ومادّيون وعيلاميون والساكنون فيما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس واسيا . وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية والتي نحو القيروان والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء . كريتيون وعرب نسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله . فتحير الجميع وارتابوا قائلين بعضهم لبعضٍ : ما عسى أن يكون هذا . وكان آخرون يستهزئون قائلين : انهم قد امتلأوا سلافة . — فوقف بطرس مع الاحد عشر ورفع صوته وقال لهم : أيها الرجال اليهود والساكنون في أورشليم أجمعون. ليكن هذا معلوماً عندكم واصغوا الى كلامي. لأن هؤلاءِ ليسوا سكارى كما انتم تظنون . لانها الساعة الثالثة من النهار . بل هذا ما قيل بيوئيل النبي . يقول الله : ويكون في الأيام الأخيرة اني أسكب من روحي على كل بشرٍ فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً . وعلى عبيدي وإماءِي اسكب من روحي في تلك الأيام فيتنبأون. وأعطي عجائب في السماء من فوق وآياتٍ على الارض من أسفل دماً ونارا وبخار دخان . تتحوّل الشمس الى ظلمةٍ والقمر الى دمٍ قبل أن يجيءَ يوم الرب العظيم الشهير . ويكون كلّ من يدعو باسم الرّب يخلص » . اهـ .

وحيث ان هذا السر هو ختام تدبير فادينا وتمام أعياد تجسده المجيد ، فينبغي لنا البحث فيما في ذلك من الحكم : (فأولاً) نبحث عن الروح القدس ذاته . (ثانياً) عن كيفية حلوله على الرسل . (ثالثاً) عن هذا الحلول —

فاصغوا اذاً مستمدين من نعمة الروح ذاته ان يرشدنا في الخطاب والفهم.

(فأولاً) — اما عن الروح القدس ذاته ، فهو الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس المتوحد في الذات والجوهر المساوي للآب والابن في الالهية والأزلية والكمالات الربانية . قال المخلص في جملة خطابه الاخير لرسله ليلة آلامه : « وأنا أسأل الآب فيعطيكم معزياً آخر ليقيم معكم الى الأبد . روح الحق الذي العالم لايستطيع أن يقبله لأنه لم يره ولم يعرفه أما أنتم فتعرفونه . »[١] وقال : « ومتى جاء المعزي الذى أرسله اليكم من عند الآب روح الحق الذي من الآب ينبثق فهو يشهد لي » .[٢] وفي خطابه لهم بعد قيامته قال لهم : « اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم معمدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس » .[٣] ففي هذه الآيات أرشدنا الابن نفسه ان الروح هو روح الحق المنبثق من الآب المساوي للآب والابن في وحدة الذات الالهية . وبهذا الاعتراف تمسكت كنيسة المسيح منذ الابتداء ونجابتكم تتذكرون مانتلوه دائماً في قانون الايمان المسلم في الكنيسة الجامعة شرقاً وغرباً من المجمعين المسكونيين : النيقاوي والقسطنطيني الاولين المنعقدين في الجيل الرابع هكذا : «نؤمن بالله واحد : الله الآب ضابط الكل الخ .. وبرب واحد يسوع المسيح المولود من الآب قبل كل الدهور الخ . ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن يسجد له ويمجد الناطق بالانبياء ...»[٤] فهذا عما يخص الاعتقاد بالروح القدس

(ثانياً)— وأما عن كيفية حلوله ، فليس الغرض من ذلك انتقال ذات

---

(١) يو ١٤ : ١٦ و ١٧ (٢) يو ١٥ : ٢٦ (٣) مت ٢٨ : ١٩ (٤) قانون الايمان

الاقنوم الثالث . لانه كما ان الآب بسيط غير محدود والابن بسيط غير محدود هكذا الروح . قال المخلص في جملة خطابه لرسله بالوعد لهم عن الروح : « لانه مقيم عندكم ويكون فيكم » (١) فكيف يكون موجوداً عندكم ويرسله من السماء ؟ فالقصد هو ظهور قوته فيهم لا انتقال أقنومه وانتشاره ذاتياً فيهم بل نعمته وقوته وحكمته ، قال المخلص : « وأنا أرسل اليكم موعد أبي فامكثوا أنتم في المدينة الى أن تلبسوا قوة من العلاء » (٢) وقال أيضاً لهم : « لكنكم ستنالون قوة الروح القدس الذي يحلّ عليكم فتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة والى أقصى الارض » (٣)

(ثالثاً) — أما عن نتائج هذا السر فان تجلي الروح القدس وتوزيع مواهبه على الرسل ، فهو شهادة عظمى إلهية لمجد يسوع الناصري . قال له المجد : « الا أني أقول لكم الحق انه خير لكم أن أنطلق . لانه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي . ولكن ان ذهبت أرسله اليكم . ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى برٍّ وعلى دينونةٍ . اما على خطية فلانهم لا يؤمنون بي . واما على برّ فلأني ذاهب الى أبي ولا ترونني أيضاً . وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين . ان لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل مايسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية » . (٤)

وإي نعم ! بكّت العالم بما أظهره في رسله الكرام : — أولاً — عزاهم على فراق معلمهم — ثانياً — أرشدهم الى علم الحقائق — ثالثاً — انطقهم لغات

---

(١) يو ١٤ : ١٧ (٢) لو ٢٤ : ٤٩ (٣) أع ١ : ٨ (٤) يو ١٦ : ٧—١٣

العالم ـ رابعاً ـ أقدرهم على صنيع الآيات العجيبة ـ وبما أظهره في الوجود من نجاح بشارتهم بيسوع ، حتى ان في أول خطبة رسولية قالها الرسول بطرس يوم حلول الروح القدس آمن بالمسيح ثلاثة آلاف من اليهود. (١) وبعد قليل بلغوا خمسة آلاف (٢) ولم تزل الكنيسة تمتد وتتقوّى والشيطان وضلاله ينقهر، وكل ذلك شهادة ساطعة بمجد يسوع الناصري.

---

(١) أع ٢ : ٤١ (٢) أع ٤

﴿ انتهى الجزء الاول ويتلوه الثاني ﴾

فهرست الجزء الاول

صفحة

٢ مقدمة الناشر

٤ تقدمة الكتاب

٥ صورة المؤلف

٦ بهجة الفؤاد بتهنئة الميلاد — فاتحة — ٨ الفرع الأول ، في من هو المولود صاحب الذكر المعهود — ١٤ الفرع الثاني، في تاريخ مولد الوحيد — النبذة الاولى ، في البشرى بالحمل به وما حدث به بعد ذلك قبل مولده — ١٩ النبذة الثانية ، فى مولده الشريف وفيها صورة الميلاد — والمجد لله في الاعالي — ٢٢ النبذة الثالثة ، فيما حدث بعد مولده — ٢٥ النوع الثالث ، في الشهادات الدالة على مجد الوحيد — ٢٦ في الشهادات السابقة زمن التجسد — ٤٣ النبذة الثانية في الشهادات الصادرة في بدأة زمن تجسده — ٤٥ النبذة الثالثة ، فيما صدر من الشهادات بعد مولده الوحيد — صورة المجوس والنجم — ٤٩ الخاتمة — ٥٢ لطافه — خطبة عيد الظهور

٦١ تهنئة العيد بقيامة الوحيد

١٠٥ خطبة عن القيامة

١١١ « « «

١٢٣ مدة بقاء المخلص في المقبرة — شرح الثلاثة أيام .

١٣١ مفيد كرزة الميلاد

١٣٣ رسم خطاب الميلاد

١٣٥ رسم خطاب عيد العنصرة

وبها انتهى الجزء الاول

232.9:F48aA:v.1:c.1
فيلوثاؤس ،الايغومانس
آثار المنتيح الايغومانس فيلوثاؤس
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01000514

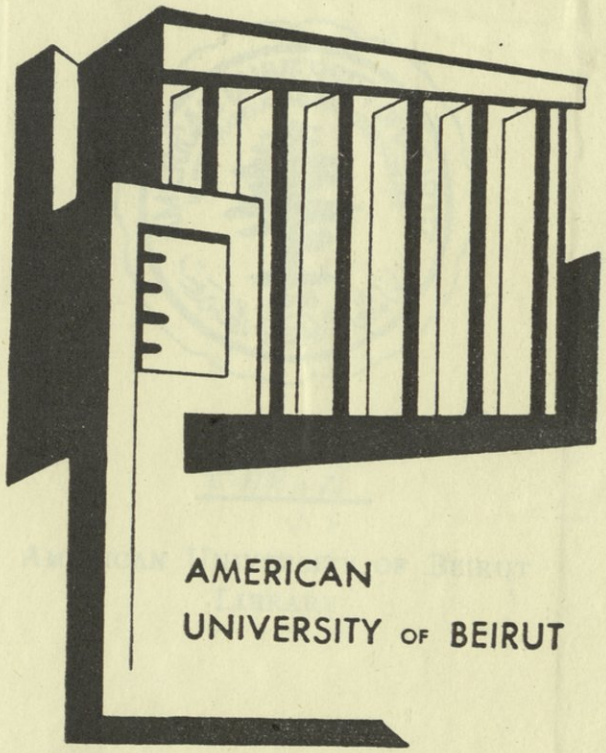

232.9
F48aA
v.1 : c.1